المقدمة :

الحمدلله الذي خلق الإنسان وخصه بالبيان ، والصلاة والسلام على نبي جاءنا بالهُدى والفرقان وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيرا . جاء هذا البحث بعنوان الظواهر الصوتية في اللغة العربية (دراسة تطبيقية في كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة). هذه الظواهر تتمثل في الإبدال، والإدغام ، والمخالفة ،والهمز ، والإمالة ، ودورها في الأداء اللُّغوي نسبةً لما تحققه هذه الظواهر من السهولة وتيسير النطق ، والانسجام الصوتي بين أصوات اللغة . وصاحب هذا الكتاب القيِّم ابن قتيبة واحد من أهم علماء اللغة العربية الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري وهو من أصحاب الثقافات الواسعة وقد جمع معارف شتى في علوم العربية وغيرها في الفقه ، والحديث ، والفلسفة ، والأخبار ، والآداب ، والعلوم . يظهر ذلك جلياً في سعة مؤلفاته الكثيرة التي تنِّم عن شخصية علمية فذة ، و قد شهد له بذلك ابن خلدون الذي عدّ كتاب أدب الكاتب في مقدمة تلك الدواوين الأربعة التي هي أصول فن الأدب :(أدب الكاتب لابن قتيبة ، و البيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد ، والنوادر لأبي علي القالي) .

سبب اختيار الموضوع :

مكانة ابن قتيبه بين علماء اللغة العربية من خلال كتابه (أدب الكاتب) وجهوده في وضع الكثير من الظواهر اللغوية (الصوتية) وعدم اهتمامه بتعليل هذه الظواهر قدر اهتمامه بالحصر والاستشهاد على استعمالها فقط ، ولهذه الظواهر الصوتية أهمية بالغة في الأداء اللغوي لما تحققه من السهولة وتيسير النطق .

أسئلة البحث :

- من هو ابن قتيبه؟
- ما مكانته العلمية ؟
- ما هي الظواهر الصوتية التي تطرأ على الأصوات اللغوية ؟

أهمية البحث :

- الحديث عن الظواهر الصوتية في اللغة العربية وما تحدثه هذه الظواهر من تغيُرات في الأصوات اللغوية لتحقيق الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة .
- بيان أن دراسة اللغة تبدأ بدراسة أصواتها والدور الذي تلعبه الأصوات في نظام التواصل لأن الرموز المستعملة في كتابة لغة من اللغات هي أولا وقبل كل شيء أصوات تسمع .
- بيان أن علم الأصوات أحد فروع علم اللغة المهمة ، لتعلقه بالجانب النطقي للكلمات لأن الصوت هو الصورة اللفظية للحرف ، وعن طريقها يمكن التعرف على مخارج وصفات الحروف .

أهداف البحث :

- محاولة الكشف عن شخصية علم من أعلام اللغة العربية ، وأثرها في الدراسات اللغوية (الصوتية) .
- دراسة أهم الظواهر الصوتية في اللغة العربية ودورها في الأداء اللغوي .
- إيراد الشواهد والأمثلة على هذه الظواهر ومحاولة تطبيقها من خلال أبواب الكتاب (أدب الكاتب) .

منهج البحث :

يسير البحث وفق المنهج الوصفي الذي يعتمد دراسة الظاهرة الصوتية مع تحليلها تطبيقيا وإحصائيا كما وردت في كتاب (أدب الكاتب) .

حدود البحث :

التعريف بابن قتيبة حياته ، نشأته ، أخلاقه ، شيوخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته ، والحديث عن الظواهر الصوتية من خلال كتاب (أدب الكاتب) .

الدراسات السابقة :

١. القضايا اللغوية في كتاب (أدب الكاتب)لابن قتيبة ، عدنان بن ناصر الملحم ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، دكتوراه ٢٠١٢م اتفقت هذه الدراسة مع البحث في التعريف بابن قتيبة وتناول القضايا الصوتية واختلفت معه في أنها تناولت القضايا الصرفية ، والنحوية والدلالية .

٢. الظواهرالصوتية وأثرها في تشكيل بنية الكلمة العربية (دراسة صوتية دلالية) إحسان عثمان عباس جامعة أمدرمان الإسلامية ماجستير ٢٠٠٤م اتفقت هذه الدراسة مع دراستي في تعريف هذه الظواهر المتمثلة في الإبدال والإدغام والمخالفة ولكنها اختلفت معي في أّنها تناولت أثر هذه الظواهر في تشكيل بنية الكلمة العربية .

٣. نقاط الالتقاء والاختلاف بين علماء الأصوات وعلماء الصرف العرب القدامى (دراسة صوتية صرفية) صالح علي محمود عبدالله جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا دكتوراه ٢٠٠٧م اتفقت هذه الدراسة مع البحث في تعريف الإدغام و الإبدال والإمالة والمخالفة و المماثلة واختلفت مع دراستي في أنها تناولت بالإضافة إلى علم الإصوات علم الصرف .

٤. بعض خصائص قراءة الكسائى (دراسة صوتية) صاحب البحر عثمان بن مونج جامعة النيلين ٢٠٠٢ م اتفقت هذه الدراسة معي في تعريف الإدغام والإمالة ،واختلفت معي في أنها تناولت هذه التعريفات من خلال (خصائص قراءة الكسائي)،وأتناولها في اللغة العربية بصورة عامة .

٥. الأوجه المقدمة في أداء القراءات السبع وتوجيهاتها الصوتية ، تقي الدين محمد مصطفي عبد الباسط التميمي جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ٢٠١١ م اتفقت هذه الدراسة مع دراستي في تعريف الإدغام والإمالة والهمز ، واختلفت مع بحثي في أنها تناولتها من ناحية أداء هذه الظواهر في القراءات .

٦. كتاب في أصوات العربية الدكتور مجدي محمد إبراهيم اتفقت هذه الدراسة معي في تعريف الظواهر الصوتية المتمثلة في الإدغام والإمالة والإبدال والمخالفة والهمز واختلفت مع دراستي في أنها تناولت بالإضافة إلى هذه الظواهر ظاهرتي الإحلال بين الصوائت والمعرب والدخيل وهذه الدراسة قد أفدت منها كثيرا في بحثي .

وقد طُبع هذا الكتاب (أدب الكاتب)عدة طبعات منها الطبعة التي قام على تحقيقها محمد محي الدين عبدالحميد ، والأخرى التي حققها الدالي ،ومنها الطبعة التي حققها عبدرب النبي علي أبوالسعود الجارحي ، والتي قامت الدراسة عليها .

هيكل البحث : يشتمل البحث على ومقدمة وثلاثة فصول وتسعة مباحث وخاتمة ونتائج وتوصيات، وفهارس.

الفصل الأول : ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بابن قتيبة .

المبحث الثاني : الإبدال .

المبحث الثالث : الإبدال في (أدب الكاتب) .

الفصل الثاني : ويشمل أيضا ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإدغام .

المبحث الثاني : المخالفة الصوتية .

المبحث الثالث :الإدغام والمخالفة في (أدب الكاتب) .

الفصل الثالث : الإمالة والهمز

المبحث الأول : الفتح والإمالة .

المبحث الثاني : الهمز .

المبحث الثالث : الإمالة والهمز في(أدب الكاتب) .

المبحث الأول

التعريف بابن قتيبة

حياته ونشأته :

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري سُمي بذلك لأنه وُلي قضاء الدِّينور مدة فنسب إليها . [١]

وقال عنه السمعاني : (إنه من أهل الدينور أقام بها مدة فنسب إليها) [٢] ويقال له : (القُتيبي والقتبي، هذه النسبة إلى الجَدِّ وإلى بطن من باهلة، فأّما بالنسبة إلى الجَدّ هو قتيبة المشهور بهذه النسبة) [٣] وقيل : (المرزوي نسبة إلى مرو الشاهجان، ومرو الشاهجان مدينة عُظمى تبعد أربعين فرسخاً عن مدينة مرو روذ وهي أحد كراسي خراسان ، وكراسي خراسان أربع مدن؛ مرو الشاهجان، نيسابور، وهراة، و بلخ) [٤] وأبو محمد من أصل فارسي، إذ وُلد أبو مسلم بمرو لذا يقال له المرزوي) [٥]وذكر السيوطي : (أنّ ولادة أبي محمد كانت ببغداد) [٦] وقال ابن خلكان : (وُلد ابن قتيبة ببغداد، وقيل : بالكوفة) [٧] وقال ابن النديم : (ولد في الكوفة في مستهل رجب سنة ٢١٣هـ ولذلك قيل : له الكوفي) [٨]وذكر مفيد قميحة في مقدمة تحقيقه لأدب الكاتب : (إنَّ أبا محمد ولد في مستهل رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين من الهجرة (٨٢٨) ميلادية وكانت ولادته بالكوفة) [٩] نجد معظم المترجمين اختلفوا في مكان ولادته منهم من قال بالكوفة ومنهم من قال ببغداد .(ويرجح شوقي ضيف أن ولادة ابن قتيبة

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة، شرح الدكتور/ يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م ، الجزء الأول / ص٧ .

(٢) الأنساب / للسمعاني /تعليق عبد الله علي البارودي / دار الفكر بيروت / ج٤ ، ط١ ١٩٨٨م ، ص٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص٤٥ .

(٤) عيون الأخبار ، ص٧ .

(٥) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / للحافظ جلال الدين السيوطي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر/ بيروت/ ط٢ ١٩٧٩م، ص ٦٤ .

(٦) وفيات الأعيان ، لابن خلكان / إحسان عباس ، دار الفكر/ بيروت / ج٢ ، ص٤٣ .

(٧) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٨) الفهرست لابن النديم / تحقيق إبراهيم رمضان / دار المعرفة / بيروت ، ط ٢ ، ص٦٤ .

(٩) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تح مفيد قميحة / منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت / ط١، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م .

ببغداد) [١] ووافقه على ذلك الأستاذ علي فاعور في مقدمة تحقيقه لكتاب(أدب الكاتب) [٢] .

أخلاقه وصفاته :

كانت سيرة ابن قتيبة محمودة ، وذلك بشهادة كثير من علماء عصره فأكثر من ترجم له يثني عليه خيراً في دينه وأدبه وخلقه . (كان ابن قتيبة في نظر السيوطي وابن خلكان ثقة ديناً فاضلاً) [٣] وقال عنه ابن الأنباري : (كان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر) [٤] وقال عنه القلقشندي : (كان عالماً باللغة والنحو والشعر، متفنناً في العلوم) [٥] وقال ابن النديم : (وكان صادقاً فيما يرويه) [٦] وقال السيوطي : قال البيهقي : (كان ابن قتيبة كراماً) [٧] قال الحاكم : (اجتمعت الأمة على إنه كذاب) [٨] ولم يقتصر ابن قتيبة على المعارك الأدبية واللغوية ولكنه اشترك في المناقشات الكلامية التي استعرَّ لهبها في عصره وكان له من حُسن الدفاع عن الحديث والقرآن ضد النزاعات الفلسفية ما جعل فريقاً من الناس يعتبرونه لسان أهل السنة وحامل لواء الحوار والجدل والمنافحة عنهم، ولكن ذلك كلهُ لم يعصمه من اتّهام قوم له بالزندقة ، فصنف كتاباً في الرد على المشبهة ويدفع عنه تهمة الزندقة التي رموه بها . [٩] ومع هذه الأقوال كان ابن قتيبة يحث على التمسك بالأخلاق الفاضلة ، حريصاً على إشاعة الخير بين الناس ومما يدل على ذلك قوله في مقدمة أدب الكاتب : (ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب

---

(١) العصر العباسي الثاني / شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة / ط١٢ / ص٦١١ .

(٢) أدب الكاتب / تحقيق الأستاذ علي فاعور / ص٥ .

(٣) بغية الوعاة ، ص ٦٤ ووفيات الأعيان ص٤٤ .

(٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء / لأبي البركات كمال الدين بن محمد الأنباري / تح محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي/ القاهرة / ١٩٩٨م / ص١٨٦ .

(٥) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، القلقشندي ، دار الكتب العلمية بيروت ص ٩٢

(٦) الفرست ، لابن النديم ، ص ٦٤

(٧) بغية الوعاة ص ٦٤

(٨) المرجع السابق ، ص٦٥ .

(٩) الشعر والشعراء ، ص٥ .

لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، و يصون مروءته عن دناءة الغيبة و صناعته عن شين الكذب، قبل مجانبته اللحن وخطل القول ـ شنيع الكلام ورفث المزح) كان الرسول (صلى الله عليه وسلم)ولنا فيه أُسوةٌ حسنة يمزح ولا يقول إلا الحق ، ومازح عجوزًا فقال : (إن الجنة لا يدخلها عجوز) [١] فبكت تلك العجوز حين سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : (إنك لست بعجوز) وقرأ قول الله تعالى : (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً(٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) [٢] وهذا يدل على تمسكة بالأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية و استشهاده بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والاتهام الذي تعرض له ابن قتيبه هو ردة فعل من بعض متهميه الذين تعرض لهم في بعض مؤلفاته لآرائهم وناقش مذاهبهم كأهل الكلام والمعتزلة وغيرهم ، هذا الطعن لم يقلل من مكانته فأثنى عليه جمعٌ من العلماء ، كان ابن قتيبة يسعى إلى أخذ العلم واكتسابه من أهله ، وذلك منذ عنفوان شبابه لا تمنعه الخلافات الفكرية عن حضور مجالس خصومه ويقول في أهل الأهواء : (وقد كنتُ في عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب أُحبُّ أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم ، فربما حضرتُ بعض مجالسهم ، وأنا مقتٌر بهم طامع أن أصدر منه بفائدة ، أو على كلمة تدل على خير ، أو تهدي لرشد ، فأرى من جراءتهم على الله ، وقلة توقيهم ، وحملهم أنفسهم على العظائم لطرد القياس ، ما أرجع معه خاسراً) [٣]

ومن هنا نستنتج رأي ابن قتيبة في أصحاب الكلام ومجالسهم ، إنه كان يقدر قيمة العلم أو مناهج التفكير بما تقدمه من خير ورشد ، وسوء ، وكُلفة في محاولتهم لإثبات نظرياتهم ويعلن ندمه على حضور مجالسهم .

---

(١) أدب الكاتب .ص ١٥-١٦

(٢) سورة الواقعة ، الآية ٣٥ - ٣٦ .

(٣) الشعر والشعراء ، ص ٦ .

شيوخه وتلاميذه :

عاصر ابن قتيبة الجاحظ ، إلا أنه كان على خلاف معه ؛ فالجاحظ معتزلي من المتكلمين ، وهو من أهل السنة كما يقول ابن خلكان) . [١]

سكن بغداد ودرس فيها علم الحديث دراسة واسعة على يد أساتذة كبار، كان أولهم أبو يعقوب إسحق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن تميم بن مرة الحنظلي المعروف بابن راهويه . جمع هذا بين الحديث والفقه والورع وكان أحد أئمة الإسلام . وشيخه الثاني هو أبو حاتم السجستاني .

والشيخ الثالث الذي حدّث عنه ابن قتيبة ببغداد هو أبو إسحق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد الزيادي ، والرجل الرابع الذي حدث عنه ابن قتيبة هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوي النحوي) [٢]

ولما اشتغل ابن قتيبة في بغداد تخرج عليه تلاميذٌ كُثر منهم ابنه أبو جعفر أحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ُولد أبو جعفر هذا ببغداد وكان فقيهاً قاضياً روى عن أبيه كتبه المصنفة كلها . ومن تلاميذه عبيد الله بن عبد الرحمن السكري ، وإبراهيم بن أبوبكر الصائغ ، وعبدالله بن جعفر بن درستويه الفارسي، وعبيد الله بن أحمد بن بـ ُكير التميمي) [٣]

ثقافته :

أخذ ابن قتيبة من مصادر ثقافية متعددة وكان واسع الاطّلاع ، وظهرت سعة ثقافته في مؤلفاته المتعددة في الحديث والفقه والشعر واللغة والأخبار وتناول هذه المؤلفات بأسلوب أدبي جميل ، ناهجاً في ذلك منهج أدباء عصره ؛ ذلك العصر الذي عُوف بالانفتاح على الثقافات الأخرى ، مما كان له الأثر الواضح على ثقافة

(١) عيون الأخبار ، ج١ ص ١٠ .

(٢) عيون الأخبار ، ج١، ص١١- ١٢ .

(٣) الأنساب ، ص ٤٥١ .

ابن قتيبة ومؤلفاته المتنوعة . أخذ ابن قتيبة ثقافته من مصادر عربية وأخرى أجنبية أما ثقافته العربية فتتمثل في شيوخه الذين أخذ عنهم العلوم المختلفة من نحو ، ولغة ، وأدب ، وحديث كابن راهوية ، وأبي حاتم السجستاني ، والرياشي والزيادي وغيرهم ، وثقافته الأجنبية تتمثل في الثقافات التي أخذ عنها ، كالثقافة الفارسية والهندية وغيرها من الثقافات الأجنبية الأخرى ، وقد صرّح ابن قتيبة بهذه الثقافات فمثلاً في كتابه عيون الأخبار يقول : (وقرأتُ في بعض كتب العجم كتاباً لأردشير بن بابك إلى الرعية ، وقرأت كتاباً من أرسطو طاليس إلى الإسكندر وقرأتُ في كتاب الآيين ، وقرأت في كتاب التاج لأبرويز) [١] .

كان ابن قتيبة فخوراً بثقافته العربية والإسلامية يقول في مقدمة أدب الكاتب : (لو أن مؤلف حد المنطق بلع زماننا هذا يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعدَّ نفسه من البُكم أو يسمع كلام الرسول(صلى الله عليه وسلم) وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب) [٢] .

مؤلفاته :

قد اتسعت معارف ابن قتيبة بحيث بدأ حاملاً لنا صولجان المعرفة والعلم ، مرتدياً ثوب الجدل والحوار ، مصنفاً من الفئة الأولى بين كبار العلماء والأدباء والكتاب . تصانيفه متعددة النواحي تتناول معارف عصره ، وتعد من أمهات المكتبة العربية والإسلامية وكان هدفه من أكثر مؤلفاته أن يقدم إلى طبقة الكتاب وأصحاب الدواوين ما يُسدّ حاجاتها من الأدب والتاريخ .

(ذكر الدكتور يوسف علي طويل في مقمة تحقيقه ثماني وخمسين كتاباً) [٣]

وذكر مفيد قميحة في مقدمة تحقيقه أربعة وعشرين كتاباً) [١] قال ابن خلكان : (تصانيفه كلها مفيدة منها : (غريب القرآن) ، و(غريب الحديث) ، و(عيون الأخبار)

(١) عيون الأخبار ، ج١ ، ص٦٠ - ٦٥ .

(٢) مقدمة أدب الكتاب ، ص١١ .

(٣) مقدمة عيون الأخبار ، ص١٦- ٣٣ .

، و(مشكل القرآن)و (مشكل الحديث) ، و(طبقات الشعراء) ، و(كتاب إعراب القرآن) ، و(كتاب المسائل والجوابات)، و(الأشربة) ، و(إصلاح الغلط) ، و(كتاب التقفية) ، و(كتاب الخيل) ، و(كتاب الأنوار)، و(كتاب الميسر والقداح وغير ذلك) [٢] .

مكانته العلمية :

لا شك أن لابن قتيبة مكانة مرموقة بين علماء عصره وهذه المكانة هي نتاج مثمر لتلك الثقافة المتنوعة التي عُرف بها ابن قتيبة ، يقول عنه شوقي ضيف : (نجده يُدخل بقوة الثقافات الأجنبية اليونانية والفارسية والهندية على الثقافة العربية الإسلامية ، ويعمل على تكون مزيج موحَّد منها جميعاً ، بحيث لا يُشغل أصحاب كل ثقافة بالدعوة والترويج لها ، مما أحدث هذا الصراع العنيف بين الشعوبيين والعرب ، الذي طال عليه الأمد منذ عهد المهدي وحتى عصره)[٣] تلك الثقافة المتنوعة والمتعددة أهلته أن يأخذ من كل علم بطرف .

تناول ابن قتيبة في كتبه المسائل النحوية مع الإشارة إلى بعض مسائل الخلاف بين النحاة ، وإذا نظرنا في بعض كتب ابن قتيبة نلاحظ اهتمامه بالنحو إلى جانب اهتمامه بالعلوم الأخرى كاللغة والحديث والفقه والتفسير والشعر والأخبار وغيرها .

وقد شهد بمكانة ابن قتيبة عدد من العلماء والمترجمين فمنهم من أطلق عليه لقب (النحوي) [٤] ومنهم من قال عنه : (رأساً في العربية) [٥] وقال عنه ابن النديم : (كان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه) [٦] ، ومكانة ابن قتيبة في النحو لا تقل عن مكانته في اللغة ، فقد أخذ النحو على أيدي

---

(١) الشعراء الشعر ، ص ٦ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٤

(٣) شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٢ ، ص٦١٣ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٤٢ .

(٥) بغية الوعاة ، ص٦٣ .

(٦) الفهرست ، ص ٦٤ .

أساتيذ كبار هم في طليعة علماء النحو واللغة كالرياشي والزيادي والسجستاني وقد أخذ ابن قتيبة ، عن المذهبين الكوفي والبصري .

وفاته :

اتفق معظم المترجمين على سبب وفاته ، يروون في ذلك الحادثة المشهورة ويقول ابن خلكان : (كانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من بـُعد ثم أُغمى عليه ومات ، وقيل أكل هريسة فأصابه حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه إلى وقت الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السحر ثم مات رحمه الله) [١] ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبعين قيل سنة إحدى وسبعين وقيل أول ليلة في رجب ، وقيل منتصف رجب سنة سبعين ومائتين والأخير أصح الأقوال) [٢] وقال السمعاني وابن الأنباري : (كانت وفاته في ذي القعدة سنة سبعين و مائتين) [٣] .

(١) وفيات الأعيان ، ص٤٤

(٢) المرجع السابق ، ص٤٤

(٣) الأنساب ص ٤٥٤ ونزهة الألباء ، ص ١٨٦ .

المبحث الثاني

الإبدال

أولا : جهود العرب في الدراسات الصوتية :

يشير الباحثون إلى أنّ أول فكر صوتي يرجع إلى أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) الذي وضع رموز للحركات عندما بدأ الخطوات الأولى في وضع النحو العربي بتحرير أواخر الكلمات فيما سمي بنقط الإعراب . (فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولاً فأحضر صبغاً يخالف لون المراد ، وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحت فأي اجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرت فأي اجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا ضممت فأي اجعل نقطة أمام الحرف ، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة (تويناً) فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف) [١] .ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي١٧٥هـ .فوضع أسس هذا العلم في كتابه (العين) ، متبعاً المنهج التجريبي الذاتي ، معبراً عنه بالذوق ؛ أي ذوق الحروف، بتجربة نطقه، والتأمل الذاتي في موضع تكوُّن كل حرف وصفاته ومخرجه، في ذلك يقول الليث حاكياً عنه : (وإنما كان ذوقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ، ثم يظهر الحرف نحو : أب ـ أت ـ أخ ـ أع ـ أغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب ، ثم قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم) [٢] .

وبنى الخليل كتابه على أساس صوتي يختلف عن نظام أبجد هوز ونظام نصر بن عاصم لأنهما مبدوءان بالألف ، والألف حرف معتل ، فلم يمكنه أن يبتدئ من أول (أ ، ب ، ت ، ث) لأن الألف حرف معتل ، فلما فاته الحرف الأول كره

(١) صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، القلقشندي،تحقيق محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ج٣، ص١٥٤ .

(٢) كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق عبد الحميد هندواي ، منشورات / محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، الجزء الأول ص٣٤ .

أن يبتدئ بالثاني وهو الباء ـ إلاّ بعد حُجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كُلٌّها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصيّر أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق) [١] . ثم جاء بعده تلميذه النابه سيبويه (ت١٨٠هـ) فعرض للدراسة الصوتية في كتابه (الكتاب) في مواضع عديدة منها الإدغام والإبدال ، والإمالة وأحوال الهمز . . .ألخ) [٢] . ثم جاء عبقري العربية ابن جني المتوفى سنة (٣٩٢هـ) فاستعمل المصطلح (علم الأصوات) في كتابه (سر صناعة الإعراب) للدلالة على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة على نحو ما جاء في الدرس الصوتي الحديث ، زد على هذا أنه أدرك علاقة هذا العلم ، بالموسيقى حيث يقول : (لعلم الأصوات والحروف تعلق ، ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم) [٣] . واستطاع ابن جني أن يدرك معنى الجهاز النطقي ووظيفته وطبيعته فهو يشبهه بالناي (المزمار) ويقارن بين عملية النطق وما ينتج عنها من أصوات بحركات أصابع اليد على ثقوب الناي ، فكما أن هذا التحريك من وضع للأصابع ورفع لها ينتج نغمات مختلفات فكذلك أعضاء النطق ، حين تعترض الهواء أو تسمح له بالخروج من هذه النقطة أو تلك . يقول في هذا الشأن : (ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ، شبه بعضهم الحلق ، والفم بالناي فإنَّ الصوت يخرج معه مستطيلاً أملساً ساذجاً ، كما يجري الصوت في الألف غُفلاً بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة) [٤] . وبعد ذلك

---

(١) العين ج٢ ، ص٣٤ .

(٢) الكتاب ، سيبويه، تعليق أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢٠٠٩ م، ج٤ .

(٣) فقه اللغة وقضايا العربية ، سميح أبو مغلي ، دار جدلاوي ، عمان ، الأردن ، ط١، ١٩٨٧م، ص١٩ .

(٤) فقه اللغة وقضايا العربية ، ص٢١ - ٢٢ .

يأتي السكاكي ليدرس في كتابه (مفتاح العلوم) الأصوات ويصنفها من وجهة نظر مختلفة ، ثم يختم بحثه بإيراد رسم توضيحي لجهاز النطق عند الإنسان ، موزعاً الحروف على الأجزاء المختلفة لهذا الجهاز ، وهو عمل يدل على إدراك ووعي بقيمة الأصوات وعلى معرفة دقيقة بمخارج النطق المختلفة للأصوات العربية) [١] .

ثم تأتي رسالة ابن سينا في (إحداث الأصوات) لتفصِّل في الوصف الفسيولجي التشريحي لأعضاء النطق [٢] . ولقد شهد علماء الغرب لبراعة العرب القدماء وتفوقهم في مجال الدراسات الصوتية فقد قال برجشتراسر : (لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان : العرب والهنود) [٣] وقال فيرث : (لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين : العربية والسنسكريتية) [٤] وكانت للعرب في دراساتهم الصوتية أهداف تعليمية تتمثل في القصد إلى تجويد النطق وحسن الأداء فيه وبخاصة ما يتعلق بأداء القرآن الكريم .

ولكن ما هو الصوت ؟

الصوت : (هو الأثر السمعي الذي تحدثه تمّوجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما) [٥] . والأصوات في اللغة هي مادة الألفاظ ، وأساس الكلام المركب والعمدة في تكوين الأداء ، وإعطائه رنيناً إضافياً يزيد من وضوح التعبير ، وصدقه على حمل فكرة المتكلم ، أو التأثير بها في السامع ، وهذه الأصوات تتشخص ويتميز بعضها عن بعض في اللغات) [٦] . وهنالك علاقة متشابكة بين علمي الأصوات والبلاغة ، فعلماء البلاغة في حاجة ماسة إلى علم الأصوات، فالكلمة لا تتسم بالفصاحة عندهم إلا إذا كانت من حروف متباعدة المخارج يسهل نطقها على المتكلم وقد أفردوا

---

(١) فقه اللغة وقضايا العربية ، ص٢٣ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ،تحقيق فرغلي سيد عرباوي ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى٢٠١١

(٣) فقه اللغة ، سميح أبو مغلي ، ص١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص١٩ .

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، مادة (صات) ، دار المعارف ، ١٩٧٢م ، ص٥٢٧ .

(٦) في أصوات العربية ، مجدي إبراهيم محمد ، تصدير طاهر سليمان حمودة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط٢٠٠١ م، ص١١ .

حروفاً معينة أسموها بالحروف المتنافرة يجب على المتحدث أن ينتحي جانباً عنها حتى يُعد في نظرهم بليغاً) [١] .

ثانيا : المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإبدال :

المفهوم اللغوي :

(الإبدال مصدر قولك : أبدلت الشيء من الشيء إذا أقمته مقامه يقال في هذا المعنى أبدلته وبدلته وتبدلته وتبدلت به ، الجمع إبدال ، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء كالإبدال من الواو والتاء في تاله) [٢] وفي حاشية الصبان : الإبدال : (هو جعل حرف مكان حرف آخر مطلقاً) [٣] .

المفهوم الاصطلاحي :

لكل من النحويين والصرفيين نظرة في تحديد هذا المفهوم ، تختلف عند كل منهما عن الآخر .

أولاً : الإبدال عند النحويين :

(هو إبدال حرف من حرف آخر مطلقاً ، وافقه في المخرج أو الصفات أم لا ، بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين) [٤] وهو عندهم لا يختص بأحرف العلة وما يشبه أحرف العلة سواء أكان للإدغام أو لم يكن ، وسواء أكان لازماً أم غير لازم ، ولابد فيه من أن يكون الحرف المبدل في مكان الحرف المبدل منه) [٥] ويقول الدكتور إبراهيم أنيس : (إن هؤلاء قد وسعوا من شأن هذا الإبدال حتى شمل

(١) المرجع السابق ، ص١٢ .

(٢) المصباح المنير ، للفيومي ، مادة (بدل) ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، ص٤٩ .

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٩٩٧م ، ج٤ ، ص٣٩١ .

(٤) في أصوات العربية ، ص٥٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص٥٥ .

الإعلال) [١] . ويقول الأستاذ مجدي إبراهيم : (ويبدو أن الذين وضعوا هذا التعريف قد تصوروا أن عملية الإبدال إرادية يقوم بها صاحب اللغة أنّى شاء ، وإذا عبروا بقولهم : (قيام حرف مكان حرف لكانوا أقرب إلى التعبير عن طبيعة التطور الصوتي الذي يطرأ على اللغة ، فالواقع أن حدوث هذه الظاهرة غير متوقف على إرادة تقصد إليه ، وإنما هو عملية ترتبط بالتاريخ والزمان الطويل ، بحيث يجد المتكلمون باللغة أنفسهم أمام كلمات متعددة ، يدل على تشابه ما بينها على أن إحداهما قد تعرض لمثل هذا التطور خلال السنين) [٢] . والإبدال بحسب هذا المفهوم السابق يصدق على ما اتحدَّ فيه مدلولاً اللفظين و تقاربَ الحرفين مخرجاً نحو : (أسود حالك ، وحانك) ، أو صفة نحو : (اُمتِقع لونه، وانتُقع لونه) وعلى ما اتحد فيه المدلولان ولم يتقارب الحرفان مخرجاً أو صفة نحو : (أحم الأمر ، وأجم الأمر) [٣] .

ثانياً : الإبدال عند الصرفيين :

هو جعل حرف من حروف (هدأتُ موطيا) مكان آخر على المشهور عندهم) [٤] .وقد فرق الصرفيون بين نوعين من الإبدال :

الأول : ويكون الغرض منه تسهيل النطق وتحقيق التماثل بين الأصوات ويسمى بإبدال الإدغام ، كما في الفعل (قطّع) أصله (قطْطَع) أدغمت الطاء الساكنة في الطاء المتحركة ، و(سكّر) أصله (سكْكَر) أدغمت الكاف الساكنة في الكاف المتحركة) [٥] .

الآخر : لا يلحظ فيه الصرفيون هذه الصفة وإن لم تخرج عنها تعليلاتهم في كثير من المواضع ، ويسمونه بالإبدال الضروري في التصريف ، وإليه ينصرف اللفظ عند

(١) أسرار العربية ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٨، ص٥٨ .

(٢) في أصوات العربية ، ص٥٤ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) حاشية الصّبان ، ص٣٩٢ .

(٥) في أصوات العربية ، ص٥٤ .

الإطلاق وما لم يشتهر يوصف بالشذوذ عندهم ، كما في إبدال اللام من النون في كلمة (أصيلال) أصلها (أصيلان) في قول النابغة :

وقفتُ فيها أصيلالاً أُسائلها ** أَعْيت جواباً وما بالربعِ مِنْ أَحدِ .

المراد (أصيلاناً) تصغير (أصلان) على غير قياس . وإنما أبدلوا من اللام نوناً ، فإن قيل: لَم زعمتم أن اللام بدل من النون ، هل كانت النون هي المبدلة من اللام ، واللام مكررة من الأولى كما كررت القاف في (خندقوق) والنون في (منجنوق) قيل لا يجوز ذلك لأن اللام لو كانت أصلاً لم تثبت الألف قبلها في التصغير، ولا انقلبت في حد انقلابها في (شملال) و(سربال) وكنت تقول(أُصيليل) كما تقول (شُمليل) و(سُويبيل) كما لم يقل ذلك بل ثبت أن اللام بدل والنون أصل ، وإنها في حكم المنطوق بها) [١] .

ويرى ابن جني أنّ قُرب المخرج شرط لازم لتحقيق الإبدال يقول : (والعرب تبدل هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج ، كقولهم : (بحثر) أي (بعثر) لأن الحاء أخت العين . [٢]

يمكننا التعرف على وقوع البدل في أي كلمة ، بأحد الأمور الآتية : [٣]

هذه الأمور ذكرها الصبان في الحاشية :

١- بالرجوع إلى المبدل منه في بعض تصاريف الكلمة ، وهذا الرجوع إما أن يكون لزوماً أو غلبةً ، فالأول نحو (جدف) فإن فاءه بدل من ثاء(جدث) لأنهم قالوا في الجمع(أجداث) بالثاء فقط ، والثاني نحو(أفلط) ؛ أي أفلت ، فإن طاءه بدل من التاء لأنه أغلب فيه الاستعمال .

٢- يعرف بكثرة اشتقاقه كتراث ، فإن أمثلة اشتقاقه (ورث ، وراث ، موروث) .

---

(١) في أصوات العربية ، ص٥٤ .

(٢) الخصائص، ابن جني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج١، ص٥٠٠

(٣) حاشية الصبان،ج٤ ،ص٣٩٤-٣٩٧ .

٣- يعرف البدل بقلة استعماله كقولهم (الثعالي) في الثعالب و(الأراني) في الأرانب.

٤- يعرف البدل بكونه فرعاً والحرف زائدًا (كضويرب) تصغير (ضارب) ، لأنه لما عُلم الأصل عُلم أن هذه الواو مبدلة من الألف ، فردها التصغير إلى الأصل .

٥- يعرف البدل بكونه فرعاً وهو أصل ، (كمويه) فإنه تصغير (ماء) فلما عُرف أنه على (مويه) علم أن الهمزة مبدلة من الهاء فردها التصغير إلى الأصل .

٦- يعرف البدل أيضاً بلزوم الكلمة وزنا غير معروف (أي مجهول) نحو (هراق) بحكم بأن أصله (أراق) فإن هاءه بدل من الهمزة ، والهمزة زائدة ، فوزنه غير معروف في اللغة .

أسباب الإبدال :

لا شك أن الإبدال نشأ نتيجة أسباب معينة ، وعوامل خاصة ، فلم ينشأ اعتباطاً ولا مصادفة ، لكن وجوده في اللغة مرتبط بعدة أسباب ، هذه الأسباب يرجع أهمها إلى الآتي :

١- اختلاف اللهجات بشرط أن تكون الألفاظ التي حدث فيها الإبدال متحدة المعنى، ولم تختلف صورتها إلا في حرف واحد ، كقول ابن خالويه في شرح الفصيح : (اختلف رجلان في (الصقر) ، فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد ، فتحاكما إلى أعرابي ثالث ، فقال أّما أنا فأقولُ (الزقر) بالزاي ، قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات) [١] .

٢- التطور الصوتي الذي يعرِض للأصوات على ألسنة الناطقين، بشرط أن تكون هنالك علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه كالقرب في الصفة أو المخرج) [٢] . ولقد أثبتت الدراسات والتجارب أن الأصوات ـ كغيرها تتطور بتطور الزمان والمكان

(١) المزهر في علوم العربية ، السيوطي ،دار الفكر العربي للطباعة والنشر ج١، ص٤٧٥ .

(٢) أسرار العربية ، ص٦٢٨ .

، فمثلاً القاف المجهورة أصبحت مهموسة ، ثم تطورت إلى كاف في نطق الفلسطينيين ، فهم يقولون ـ مثلاً ـ (كال في قال) و(كتلة كتلاً) في قتله قتلاً . . .)، وهكذا تتطور بعض الأصوات في مخارجها وصفاتها بتطور الزمان ، فمثلاً الضاد التي تخرج من حافة اللسان ، أصبحت تخرج من طرف اللسان كما في الفعل (اضرب) كما أنها أصبحت النظير المفخم للدال ، ونلاحظ أيضًا تأثير طبيعة المكان في نطق الأصوات وتطورها ، فقد (رأينا الحضري يؤثر الأصوات المهموسة والرخوة ، في حين أن البدوي يؤثر الأصوات الشديدة) [١] . لأنها أوضح في السمع ، وتنسجم مع بيئته وطبيعته والحضري يرقق والبدوي يفخم) [٢] .

٣- تقارب اللفظين لتقارب المعنيين ، كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) [٣] .أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تُهزهم هزّاَ ،والهمزة أُخت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين .

٤ – التصحيف والتحريف : وهما من المسائل اللغوية التي ابتليت بها الكتابة العربية منذ القدم، والتحريف هو (تغير في شكل الحروف المتشابهة في الرسم (كالدال والراء)، (والدال واللام) معنى هذا أنه شمل الكلمات التي تتقارب مخارجها وصفاتها (كالصاد والسين) ، و(الطاء، التاء) و(القاف، والكاف) و غير ذلك من الحروف التي سهل التحريف فيها لتشابه الجرس الصوتي بينهما، فلولا تفخيم الحروف الأولى لأصبح النطق واحداً) . وأما التصحيف فهو (تغيير في نقط الحروف المتماثلة في الشكل) كما في (الجيم، والحاء ، والخاء) أو (الباء ، والتاء ، والثاء) فنسيان نقطة أو زيادة أُخرى ينشأ عنه تصحيف وبالتالي يؤدي إلى نشأة الإبدال) [٤] .

---

(١) في أصوات العربية ، ص٥٧ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها

(٣) سورة مريم ، الآية ٨٣ .

(٤) في أصوات العربية ، ص٥٨ .

٥ – أخطاء النطق والسمع ، كالإبدال بين (الميم ، والنون) يقول المبرد : (والميم تخرج من الخياشيم لما فيها من الغنة ، فلذلك تسمعها كالنون ، لأن النون المتحركة مُشربة غنة والغنة من الخياشيم) [١] ويقول أحمد بن فارس الشدياق : (ومنه ما جرى فيه الإبدال بسبب تشابه الحروف التي في النطق أو الخط) [٢] .

٦ – التعريب : (وهو عبارة عن إبدال الأصوات التي ليست من أصوات العربية إلى أقربها مخرجاً ، لئلا يدخل في كلامهم ما ليس في أصواتهم) . فما غُير من الحروف كان بين الجيم والكاف ، ربما جعلوه جيماً ، وربما جعلوه كافاً ، وربما جعلوه قافاً ، لقرب القاف من الكاف ، قالوا : (كُوبج) وبعضهم يقول : (قربق) [٣] . تلكم هي أهم الأسباب التي ينشأ بسببها الإبدال وقد خُصصت بالذكر والحديث لأهميتها في نشأة هذه الظاهرة .

رأي المحدثين في الإبدال :

أرجع المحدثون نشأة هذه الظاهرة إلى التطور الصوتي ، ويقول الدكتور أنيس : (وحين نستعرِض تلك الكلمات التي فُسرت على أنها من الإبدال حينا ، ومن تباين اللهجات حينا آخر لا نشك لحظة في أنها جميعها نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين ، ويكون الخلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها نستطيع أن نفسرها على إحدى الصورتين هي الأصل ، والأخرى فرعٌ لها أو تطور عنها ، غير أنه في كل يُشترط أن نلحظ العلاقة بين الحرفين المبدل والمبدل منه ، أي أن التقارب في الصفة أو المخرج شرط أساسي في كل تطور صوتي) [٤] .

---

(١) في أصوات العربية ، ص٥٩ .

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي ، الجواليقي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص٦ .

(٣) العرب م الكلام الأعجمي ص٦.

(٤) أسرار العربية ، ص٦٣ .

المبحث الثالث

الإبدال عند ابن قتيبة

لقد أفرد ابن قتيبة للإبدال اللغوي ستة أبواب في مصنفه (أدب الكاتب) وأورد فيها الكلمات التي يتبادل فيها الحرفان مباشرة ، وهذه الأبواب هي : [١]

١ – باب ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد .

٢ – باب ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين .

٣ – باب المبدل .

٤ – باب إبدال الياء من أحد الحرفين المثلين إذا اجتمعا .

٥ – باب الإبدال من المشدد .

٦ – باب ما أُبدل من القوافي .

١ / الإبدال بين الصاد والسين :

كلاهما يخرج من طرف اللسان ، وفُويق الثنايا السفلى[٢] . فهما من الحروف الأسلية يخرجان من أسلة اللسان ، وهي مستدق طرفه ، ولخروج أي منهن يرتفع اللسان حتى تلتقي حافتاه وجانباه ومقدمه بما فوقها من الأسنان ، ويمتد طرفه حتى يقترب من صفحتي الثنيتين العليتين فلا يبقى للهواء إلا منفذ دقيق بين أسلة

(١) أدب الكاتب ، ٢٣٠ – ٢٨٧ – ٢٨٨ – ٢٩٠ .

(٢) سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق حسن هنداوي ، دار القلم دمشق ، ط١، ١٩٨٥م ، ج١، ص٦١ .

اللسان وصفحتي الثنيتين فيخرج منها صافرا[١] وما ذكره علماء اللغة المحدثون أقره ابن سينا قائلاً : (عند خروج أيٍّ منهن ينطبق جانبي اللسان على الحنك فيخرج بمرور النفس في تجويف مستدق مستطيل بينهما) [٢] .

هنالك تجانس بين صوتي السين والصاد كلاهما مهموس ، رخو مستفل مصمت إلا أن صوت الصاد مطبق ، وصوت السين منفتح . ونظراً للتجانس بينهما في المخرج وكثير من الصفات ، فقد وقع الإبدال بينهما ، يقول البطليوسي : (كل سين وقعت بعدها غين ، أو خاء ، أو عين ، أو قاف ، أو طاء جاز قلبها صاداً وذلك مثل قوله تعالى : (كَأَنَّما يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ)[٣] . (يصاقون) (ومس سقر) و(صقر) وقوله : (... وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ...)[٤] (بصطة) (والسراط ، والصراط) ثم ذكر البطليوسي ثلاثة شروط لهذا الإبدال هي : [٥]

١ – أن تكون السين متقدمة على هذه الحروف لا متأخرة عنها .

٢ – أن تكون هذه الأحرف متقاربة لا متباعدة عنها .

٣ –أن تكون السين هي الأصل، فإن كانت الصاد هي الأصل لم يُجز قلبها سينا .

ويعلل لهذا الشرط الأخير بقوله : لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى ، ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف ، وإنما قلبوها صاداً مع هذه الحروف ، لأنها حروف مستعلية ، والسين حرف مستفل ، فثقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل لما فيه من الكلفة ، فإذا تقدم حرف الاستعلاء لم يكره وقوع السين بعده لأنه كالانحدار من العلو وذلك خفيف

(١) في أصوات العربية ، ص٦٠ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ، ص١٨٥ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٦ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٦٩ .

(٥) في أصوات العربية ، ص٦١ .

، لا كلفة فيها فهذا هو الذي يجوز القياس عليه في هذا الباب ما عداه فإنما يوقف على السماع[١] .

أ / إبدال السين صادًا :

لقد أورد ابن قتيبة خمس كلمات أُبدلت فيها السين صادا أدرجها تحت باب (ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد) ، وهذه الكلمات هي : (دابةٌ شموس) ولا يقال شموص ، و(أخذه قسراً) ولا يقال قصراً ، وقد قصره إذا حبسه ومنه قوله تعالى : (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ)[٢].

فأما (القسر بالسين) فهو القهر ، (والرسغ) بالسين ولا يقال بالصاد ، وهو (القريس) بالسين ولا يقال بالصاد وهو (النقس) من المداد بالسين وكسر النون وجمعه أنقاس[٣] .

ب / إبدال الصاد سيناً :

لقد أورد ابن قتيبة عشر كلمات ، أبدلت فيها الصاد سينا ، أدرجها في باب : (ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين) هذه الكلمات هي : (أخذته على المقبص) بالصاد وهو الحبل الذي تُرسل منه الخيل ، و(هو قصّ الشاة) و(قصْصَها) ولا يقال قسَّ .

و(هو صفح الجبل) لوجه الجبل ، ولا يقال (سفح) إلا لما سُفح فيه الماء وهو أسفل الجبل (ونبيذٌ قارص ، ولبن قارص) ؛ أي يقرص اللسان ، و(البرد قارس) ، والقرس البرد ، ويقال : (بخصت عينه بالصاد ولا يقال بخستها إنما البخس النقصان ، وأصاب فلان (فرصته) وهي صنجة الميزان ولا يقال (سنجة) وهي أعجمية معربة ، وهو (الصماخ)ولا يقال السماخ ، وهو (الصندوق) بالصاد .[٤] .

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ٧٢ .

(٣) أدب الكاتب ، ص٢٣٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٣٠ .

٢ / الإبدال بين السين الصاد والزاي :

اشتركت الصاد والسين والزاي مخرجاً ورخاوة وصفير، وانفردت الزاي بالجهر واشتركت مع السين في الانفتاح ، والاستفال[١] . فلا فرق بينهما إلا في أن الصاد تنفرد بالإطباق و الاستعلاء . [٢] فكل منهما يخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ونظرا لتجانس هذه الحروف الثلاثة في المخرج والصفات فقد وقع الإبدال بينهم عند ابن قتيبة في نموذجين .

يقول ابن قتيبة : (شَنَزَتْ المرأة على زوجها ، ونشصت) [٣] . ومما يعضد هذا الكلام قول أبو الطيب اللغوي : ويقال نشزت المرأة ونشصت ، وهي امرأة ناشز ، وناشص [٤] .

أما المثال الآخر الذي أورده ابن قتيبة فهو قوله (بصق الرجل) و(بزق) وهو (البصاق) و(البزاق) ولا يقال (بسق) إلا في الطول [٥] .

٣ / إبدال الهمزة هاء :

والهمزة أشد الحروف الشديدة ، فهي كما يقول سبيويه : (نبرة في الصدر تخرج باجتهاد) [٦] . و هي كما يقول ابن جني : (حرفٌ مجهور) [٧] . وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية ، لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ، ثم تنفتح فجأة فنسمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالهمزة المحققة [٨] . فهي إذًا صوت شديد ، مجهور منفتح ، مستفل ، مصمت .

---

(١) أصوات العربية ، ص٦٥ .

(٢) في أصوات العربية ص٦٥ .

(٣) أدب الكاتب ، ص٢٨٨ .

(٤) في أصوات العربية ، ص٦٦ .

(٥) أدب الكاتب ، ص٢٨٨ .

(٦) الكتاب ، ج٤ ، ص٥٧٤ .

(٧) سر صناعة الإعراب ، ص٦٩ .

(٨) في أصوات العربية، ص ٦٩ .

أما الهاء فتخرج من أقصى الحلق[١] .فهي تجاور الهمزة في المخرج وقد وصف لنا مخرجها ابن سينا قائلاً : (إنها تخرج عن مثل ذلك الحفز في الكّم والكيف ؛ إلا أنّ الحبس لا يكون حبسا تاما ، بل تفعله حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة ، والاندفاع يماس حافاته بالسواء غير مائل إلى الوسط) [٢] . ويقول ابن جني : (وهي من الحروف المهتوتة وذلك لما فيها من الضعف والخفاء) [٣] . والهاء صوتا مهموسا حنجريا احتكاكيا فقد اشتركت مع الهمزة مخرجا وانفتاحا، وانفردت الهمزة بالجهر والشدة[٤] .

وقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة في أربع كلمات وهي قوله : (قال الفراء : والهمزةُ تبدلُ فيها الهاء في أول الحروف كثيرا ، قالوا : (هِبْرية) وأصلها (إبرية) وقالوا (هَرتُ) وأصله (أنرتُ) ، و(هَحَتُ) وأصله (أرْحْتُ) ، (هَوْقُ) والأصل (أرقتُ) . [٥] .

٤ / الإبدال بين الهاء والحاء :

وبينهما علاقة صوتية ، وهي قرب المخرج ، حيث تخرج الهاء من أقصى الحلق ، والحاء من وسطه[٦] . أما من ناحية الصفات فكلاهما مهموس ، رخو ، مستفل ، منفتح ، مصمت، فهما متحدان في الصفات ما عدا ما تمتاز به الهاء من الخفاء والحاء من الاحتكاك، فالحاء صوت صامت ، مهموس ، حلقي احتكاكي)[٧]. ويقول الخليل : (لولا بحةٌ في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجهما) [٨] .وليس هنالك ما يفرق بين الحاء والهاء إلا اختلافهما في المخرج فالحاء من الأصوات

(١) الكتاب، ج٤، ص٥٧٣ .
(٢) أسباب حدوث الحروف ، ص١٨٠ .
(٣) سر الصنا عة ، ص٦٤ .
(٤) في أصوات العربية ، ص ٧٠
(٥) أدب الكاتب ، ص٢٨٨
(٦) الكتاب ، ج٤ ، ص ٥٧٤ .
(٧) في أصوات العربية ، ص٧٢ .
(٨) العين ، ج١ ، ص٣ .

الحلقية ، والهاء من الأصوات الحنجرية . [١] قد أورد ابن قتيبة أربع كلمات وقع فيها الإبدال بين الهاء والحاء وهي قوله : (قالوا : مدهتُهُ بمعنى مدحته) ، و(قُمح يقمحُ قموحا) ، و(قمة يقمه قموها) ، إذا رفع البعير رأسه و لم يشرب و(أهمَّني الأمرَ) ، و(أحمَّني) ، و(سحقتُ الزعفران) ، و(سهكتُه) [٢] .

٥ / الإبدال بين الخاء والهاء :

بينهما علاقة صوتية ، وهي قرب المخرج ، فالخاء تخرج من أدنى الحلق ، وهي صوت (رخو ، مرقق ، احتكاكي ، حلقي ، مهموس) [٣] وهي تشارك الهاء في الحلق ، وتشترك معها في صفات كثيرة كالهمس والرخاوة و الإصمات ، ولهذا تبدل الخاء هاء لهذه العلاقة الوصفية والمخرجية ، وقد أورد ابن قتيبة مثال واحد ، هو قوله : (كلبُ هراش) ، و(خراش) [٤] .

٦ / الإبدل بين الهمزة والعين :

بينهما علاقة صوتية تخرج الهمزة من المزمار ، أي من أقصى الحلق ، وتخرج العين من وسط الحلق[٥] . إذاً فهما متقاربان مخرجا ، لهذا وقع الإبدال بينهما كثيرا ويقول ابن جني في : (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ومنه (الَعَفُ ، والأَسَفُ) والعين أخت الهمزة ، كما أن الأسفُ يعسفُ النفس و ينال منها . . فقد ترى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعنيين[٦].

---

(١) في أصوات العربية ، ص٧٤ .

(٢) أدب الكتاب ، ص١٨٧ - ٢٨٨ .

(٣) الكتاب ، ج٤ ، ص٥٧٣ .

(٤) أدب الكاتب ، ص٢٨٨ .

(٥) الكتاب ، ج ٤ ، ص٥٧٣ .

(٦) الخصائص ، ج٢ ، ص٤٩٩ .

والهمزة ليست من الأصوات المجهورة ، كما أنها ليست من الأصوات المهموسة إذ مخرجها المزمار نفسه[١] .والهمزة كما يقول الدكتور رمضان عبدالتواب : (صوت أصيل في اللغات السامية كلها وهو صوت حنجري شديد ، مهموس ، ينطق بأن يلتقي الوتران الصوتيان أحدهما بالآخر التقاءا محكماً ، يحبس خلفهما الهواء الخارج من الرئتين حتى إذا زال هذا الالتقاء سمعت للهواء المحبوس انفجارا وهو صوت الهمزة [٢] . أما العين فهي صوت مجهور يتذبذب معه الوتران الصوتيان ، نظرا لاشتراك العين مع الهمزة في كثير من الصفات فقد أُبدلت عينا وقد ذكر ابن قتيبة مثال واحد وهو قوله : (استأديت عليه ، واستعديت) [٣] .

٧ / الإبدال بين الباء والميم :

وهما متحدان مخرجا كلاهما يخرج ما بين الشفتين فهما من الحروف الشفوية[٤] كلاهما مجهور ، مستفل ، منفتح ، فلا فرق بينهما إلا أن الباء تختلف عن الميم في شيئين أحدهما: أن الباء صوت شديد ، وثانيهما : أن مجرى النفس معها من الفم ، في حين أن مجرى النفس مع (الميم) من الأنف ، وأنها من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين ، أي ليست بالشديدة ولا بالرخوة[٥] نظراً للعلاقة المخرجية والوصفية بين الباء والميم فقد وقع الإبدال بينهما كثيراً ، ولكن ابن قتيبة فقد أورد مثالاً واحداً وهو قوله : (سَبَّدَ رأسه وسَمَّدَه) إذا استأصله . [٦] .

٨ / الإبدال بين الدال والتاء والطاء :

(١) في أصوات العربية ، ص٧٣ .

(٢) في أصوات العربية ، ص٧٣ .

(٣) أدب الكاتب ، ص٢٨٧ .

(٤) الكتاب ، ج٤ ، ص٥٧٣ .

(٥) أصوات العربية ، ص٧٧ .

(٦) أدب الكاتب، ص٢٨٧ .

وبينهم علاقة صوتية ، فكلٌ منهم يخرج من طرف اللسان ، وأصول الثنايا العليا مصعداً جهة الحنك الأعلى[١] والطاء صوت مطبق ونظيره غير المطبق هو الدال ، فكلاهما مجهور، أما التاء والدال فلا فرق بينهما سوى أن التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور[٢] والذي سوغ الإبدال بينهم اشتراكهم مخرجا وشدة ، وانفردت الطاء بالاطباق والاستعلاء واشتراكهما مع الدال في الجهر ، وانفراد التاء بالهمس ، واشتراكهما مع الدال في الانفتاح والتسفل . [٣]وقد أورد ابن قتيبة مثال واحد وهو قوله: (هَوَدَ فلان الستر ، وهَوته ُ ، إذا خَرقه) [٤] .

٩ / الإبدال بين الميم والنون :

هما متقاربان مخرجا ، تخرج الميم من الشفتين ، وتخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا[٥] . وكلاهما مجهور ، مستفل ، ومنفتح ، ولا فرق بينهما إلا أن النون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ، وهنالك فرق آخر وهو (أن طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الثنايا العليا ، وأن الشفتين مع الميم هما العضوان اللذان يلتقيان) [٦] . وقد أورد ابن قتيبة مثالين لإبدال الميم نونا وهما قوله : (الأيم) و(الأين) للحّية ، و(طانه الله على الخير، وطامة) ؛ أي جبله[٧] .

١٠ / الإبدال بين الجيم والطاء :

وبينهما علاقة صوتية ، تخرج الجيم من وسط اللسان بينه ، وبين وسط الحنك ، وتخرج الطاء من بين طرف اللسان ، وأصول الثنايا العليا[٨] . وهما مشتركان في أغلب الصفات ، فلا فرق بينهما إلا أنّ صوت الطاء مطبق ، وصوت

---

(١) الكتاب، ج٤، ص٥٧٣ .

(٢) في أصوات العربية ، ص٧٨ .

(٣) في أصوات العربية ، ص٧٨ .

(٤) أدب الكاتب ، ص٢٨٧ .

(٥) سر صناعة الإعراب ، ص٤١٣ .

(٦) في أصوات العربية، ص٨٠ .

(٧) أدب الكاتب، ص٢٨٨ .

(٨) سر الصناعة، ص٢١٧ .

الجيم منفتح ، كما أن الجيم صوت مزدوج يجمع بين الشدة والرخاوة [١] . فقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة في مثال واحد وهو قوله: (لُبِجَ به) و(لُبِطَ به) إذا ضرب بنفسه الأرض[٢]

١١ / الإبدال بين الثاء والفاء :

وبينهما علاقة صوتية وهي قرب المخرج ، حيث تخرج الثاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، وتخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[٣]. إذٍا الثاء صوت ما بين الأسناني احتكاكي مهموس ، والفاء صوت أسناني شفوي احتكاكي مهموس أيضا ، فكلاهما مهموس رخو ، مستفل ، مصمت . فهذه العلاقة الوصفية والمخرجية هي التي سوغت وقوع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة في قوله : (جَفَ) للقبر و(جدث) و(فناء الدار) و(ثناؤها) واحد ، وهي(المغافير) و(المغاثير) [٤] .

١٢/لإبدال بين الياء واللام :

وهما متقاربان مخرجا ، تخرج الياء من وسط اللسان ، أما اللام فتخرج من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى[٥] كلاهما مجهور مستفل منفتح ، ولا فرق بينهما إلا أن صوت اللام منزلق ومتوسط بين الشدة والرخاوة ، ونظيره الياء رخو مصمت ، لين. وقد وقع الإبدال عند ابن قتيبه في كلمتين ، وهما قوله : (انتفيت من الشيء ، وانتفلتُ) ،[٦] و (وصيتُ الشيء بالشيء) ووصلته [٧] . واستشهد ابن قتيبه بقول ذي الرمة :

---

(١) أفي أصوات العربية، ص٨١ .

(٢) الأدب الكاتب، ص٢٨٨ .

(٣) الكتاب، ج٤،ص٥٨٧ .

(٤) أدب الكاتب، ص٢٨٧ .

(٥) سر صناعة الإعراب ، ج١، ص٤٧ .

(٦) أصوات العربية ، ص٨٢١ .

(٧) أدب الكاتب ، ص٢٨٨ .

نَصِي اللَّيْلَ بالأيَّامِ حَتَّى صَلاتُنا مُقاسَمَةٌ يَشتَقُ أنصَافَها السَّفَرُ

أراد بقوله : (نصي) نَصِل .

١٣ / الإبدال بين الدال والسين :

وهما متقاربان مخرجاً ، تخرج السين من طرف اللسان ، وفويق الثنايا السفلى، وتخرج الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا [١] وكلاهما مستفل ، منفتح ، مصمت ، ولا فرق بينهما إلا أن الدال صوت انفجاري مجهور والسين احتكاكي مهموس وقد أورد ابن قتيبة مثال واحد للإبدال بينهما وهو قوله : (الماء جامس) و(جامد) [٢]

١٤ / الإبدال بين السين والتاء :

وبينهما علاقة صوتية حيث تخرج السين كما ذكرنا من طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى ، وتخرج التاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا [٣] وكلاهما مهموس ، منفتح ، مستفل ، مصمت ، مرقق و لا فرق بينهما إلا أن صوت التاء انفجاري والسين احتكاكي رخو . وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة بقوله : (أخسّ الله حظّه) و(أخته) فهو خسيس وختيت [٤].

١٥ / الإبدال بين السين والثاء :

وهما متقاربان مخرجًا وبقليل من النظر نلمح هذه العلاقة الصوتية حيث تخرج الثاء من طرف اللسان ، وأطراف الثنايا العليا [٥] وتخرج السين كما ذكرنا من طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى ، وكلاهما مهموس ، رخو ، منفتح ، مستفل ، مصمت ، ونظرا للعلاقة الصوتية بينهما فقد وقع الإبدال عند ابن قتيبة في قوله :

---

(١) سر الصناعة ، ج١، ص٤٧ .

(٢) دب الكاتب ، ص .٢٨٨

(٣) سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص٤٧ .

(٤) أدب الكاتب ، ص٢٨٧ .

(٥) الكتاب ، ج٢ ، ص٥٧٣ .

(سُوتُ إليه) و(ذُرت إليه) ، و(ثاَخ ، وساخ) في الأرض سواء أي : دخل [١] واستشهد بقول أبي ذؤيب : (فهَي تَ ذُوخ فيها الإصْبَع)

١٦ / الإبدال بين النون والراء :

هما متحدان مخرجا ، وكلاهما يخرج من طرف اللسان ، بينه وبين ما فوق الثنايا وهما كذلك متحدان ، في صفات الجهر، والشدة ، والتسفل ، والانفتاح . فلا فرق بينهما إلا أن الراء صوت مجهور ومكرر ، يقول ابن جني : (لأنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير) [٢]، ونظيره النون مهموس ، ونظرا لاتحادهما في المخرج والصفات فقد وقع الإبدال عند ابن قتيبة في مثال واحد وهو قوله : (سكنت الريح) ، و(سكرت)

واستشهد بقول أوس بن حجر :

فليستْ بِطلْقٍ و لا سَاكِرهْ

١٧ / الإبدال بين الثاء والذال :

هما متفقان مخرجا يخرج كلاهما من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا وكلاهما رخو ، مستفل ، منفتح ، مصمت ، فلا فرق بينهما إلا أن صوت الثاء مهموس والذال مجهور (فالثاء صوت مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان ، والذال صوت مجهور نظيره المهموس هو الثاء) [٣]، وقد أورد ابن قتيبة مثال واحد وهو : (جثوتُ عليه) و (جذوتُ) [٤].

١٨ / الإبدال بين الثاء والدال :

هما متقاربان مخرجا ، تخرج الثاء من طرف اللسان ، وأطراف الثنايا العليا ، وتخرج الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك

---

(١) أدب الكاتب ، ص٢٨٨ .

(٢) سر الصناعة ، ج١، ١٩١ .

(٣) في أصوات العربية، ص٧٨.

(٤) أدب الكاتب، ص٢٨٧.

الأعلى[١] ولا فرق بينهما إلا أن الثاء صوت مهموس ونظيره الدال مجهور ، وأورد ابن قتيبة مثال واحد وهو قوله : (مَرَثَ الـ خبز في الماء، ومَرَدَه)[٢].

١٩ / الإبدال بين اللام والنون :

هما متقاربان مخرجا ، تخرج اللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى [٣]. أما النون تخرج من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً ، وكلاهما مجهور ومتوسط ، مستفل ، منفتح[٤] ، وقد أورد ابن قتيبة مثال واحد وهو قوله : (شَتَنُ الأصابع ، وشَتْلُ)[٥].

٢٠ / إبدال الياء أحد من الحرفين المضعفين :

ويقصد به إبدال الحرف الأخير من الكلمة المضعفة اللام ياء ولقد فطن القدماء إلى هذه الظاهرة وأدرجوها تحت عناوين متعددة، منها قولهم : (الإبدال من المشدد) ، (إبدال الياء من أحد الحرفين إذا اجتمعا) ، أو(إبدال الياء من المدغم)، و (إبدال الياء من الأمثال مكروه) أو (الإبدال من الُضعف)[٦].

وأول من أشار إلى هذا النوع من الإبدال الخليل ، يقول : (أصل مهما الشرطية "ماما" فقلبوا الألف الأولى هاء لاستقباح التكرير)[٧]. ويقول سيبويه : (اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد ، ويقول أيضاً :

---

(١) الكاتب، ج١، ص٥٧٣.

(٢) أدب الكاتب، ص٢٨٧.

(٣) سر الصناعة ، ج١، ص٤٧.

(٤) في أصوات العربية، ص ٨٨ .

(٥) أدب الكاتب، ص ٢٨٧ .

(٦) الكتاب ،ج٤، ص٥٦٣ .

(٧) في أصوات العربية ،ص٨٩ .

(هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف ، وليس بمطّرد وذلك قولك : تسريَّتُ ، وتظنَّيتُ ، وتقصيَّتُ من القصة[١]، ونفهم مما سبق أن عين الفعل ولامه إذا كانا مثلين ، فإنهم يتخلصون منه بالإدغام ، ولكن قد يضعفون عين الفعل ، فيجتمع ثلاثة أمثال يثقل عليهم نطقها ، وكي يتخلصوا من ثقل هذه الأمثال ، فإنهم يلجئون إلى إبدال أخر هذه الأمثال حرف مد ، ومما يؤيد هذا أن ابن قتيبة يقول [٢] قال العجاج :

تقضَّى البازي إذا البازي كسر

أراد تقضُّض لأنه في الأصل من تركيب(قضض) .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (**وَمَاكَانَصَلَاتُهُمْ** عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) [٣] ، قال أبو عبيدة : المُكاء ، الصفير ، والتصدية التصفيق ورفع الصوت ، وأصله من (صددت) أصد ، ومنه قوله تعالى :"(اذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) [٤] ، أي يضجون ويعجون ، فجعل إحدى الدالين ياء.

٢١ / الإبدال من المشدد :

لقد أورد ابن قتيبة نوعا آخر من الإبدال وأطلق عليه (الإبدال من المشدد) ومن أمثلته (تكمكم الرجل) من (الكُمة) وهي القلنسوة والأصل (تكمَّم) و (تململ على فراشه)، والأصل (تملَّل) من المَلة وهي الرماد الحار، وتكركر، وأصله (تكرَّر) من التكرير[٥].

ويظهر من الأمثلة أنه يقصد بالإبدال من المشدد : (إبدال أول الحرفين حرفا مماثلا لما قبله) .

---

(١) أدب الكاتب، ص ٢٨٩ .

(٢) أدب الكاتب، ص ٢٨٩ .

(٣) سورة الأنفال الآية (٣٥).

(٤) سورة الزخرف الآية (٥٧).

(٥) أدب الكاتب، ص٢٩٠.

٢٢ / الإبدال من القوافي :

وهذا النوع من الإبدال يكون للضرورة الشعرية ، وقد أدرج ابن قتيبة بعضا من نماذجه في (باب ما أبدل من القوافي) ومنه قول الشاعر :

كأنَّ أصوات قَلَطَا المُنقَضَّ باللّيلِ أصواتِ الحَصَا المُقْعَرَّ

قال البطليوسي : (هكذا رويناه عن ابن قتيبة) المنغض بالغين المعجمة والصاد غير المعجمة وهو من الغصص ، ومعناه المختنق ، ورويناه عن غير ابن قتيبة (المنقض) بالضاد المعجمة والقاف وهو الصواب[١].

(١) الاقتضاب في شرح الكتاب – للبطليوسي، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب، بيروت، ج١، ص٣٣٢.

المبحث الأول

ظاهرة الإدغام

وهذه الظاهرة من الظواهر الصوتية التي شملت جميع اللغات السامية ، حيث تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في الكثير من الكلام . فحين ينطق المرء بلغته نطقا صحيحا لا تكلف فيه فإن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضا لهذا التأثر على أن نسبه التأثر تختلف من صوت لآخر فمن الأصوات ما هو سريع التأثر يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على سواه من الأصوات ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي السر فيما يُصيب بعض الأصوات من تأثر [١] .

ويقول الدكتور أنيس :

(والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة ، أو المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها ، قربها في الصفات أو المخارج . ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة (vowel harmony)[٢] ، واللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلام الحديثة ، مالت ميلاً كبيرا إلى هذا التأثر، إذْ نلحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثر أصوات الكلام بعضها ببعض في أثناء النطق[٣] .

الإدغام لغة واصطلاحًا :

الإدغام في اللغة : (هو إدخال شيء في شيء ، يُقال : أدغمتُ اللّجام في فم الدابة؛ أي أدخلته في فيها) [٤]

---

(١) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٤٥ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ، ص١٤٥ .

(٤) شرح المفصل، ج٥، ص٥١٢ .

وفي اللسان : (دَغَم الغَيثُ الأرض يدُغمها، وأدغمها، إذا غشيها وقهرها . . . والإدغام إدخال اللجام في أفواه الدواب، وأدغم الفرس اللجام، أدخله في فيه . . . .) [١] .

قال الأزهري : (والإدغام إدخال حرف في حرف ، يقال : (أدغمتُوأدغمتُه على افتعلته) [٢]. والإدغام بالتشديد من ألفاظ البصريين ، والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين) [٣] .

الإدغام اصطلاحا :

وفي اصطلاح النحويين له تعريفات عديدة [٤] .منها تعريف ابن يعيش : (أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد، ترتفع اللسانُ عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك على حقيقة التداخل والإدغام وذلك نحو شدّ ، ومدّ) [٥] . وليس إدغام الحرف في الحرف إدخاله فيه على الحقيقة بل هو إيصاله به من غير أن يفُك بينهما[٦] .

ويعرفه الأزهري : (رفعُك اللسان ، ووضعك إيّاه بالحرفين دفعة واحدة بعد إدخال أحدهما في الآخر، فيجب إدغام أول المثلين الساكن أولهما، المتحرك ثانيهما) [٧] . ومعنى هذا أنّ الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا[٨] ، ولقد تحدّث سيبويه سيبويه في الكتاب، عن الإدغام بقوله : (وكلما توالت الحركاتُ أكثر كان الإدغام أحسن ـ وإن شئت بيَّنت ـ وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواءٌ متحركين ،

(١) اللسان، مادة دغم، ج٥، ص٩١ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج٢، ص٧٥٦ .

(٣) شرح المفصل، ج٥، ص٥١٢ .

(٤) المرجع السابق، ص٥١٢ .

(٥) المرجع السابق، ص٥١٢ .

(٦) في أصوات العربية، ص١٠٢ .

(٧) التصريح على التوضيح، ج٢، ص٧٥٦ .

(٨) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق خالد العطار، دار الفكر العربي، ج١، ص١٣٣ .

وقبل الأول حرف مد فإنّ الإدغام حَسَنٌ لأنّ حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام . ألا تراهم في غير الانفصال قالوا : (رادٌّ) و (تُمودَّ الثوبُ) [1]، ولقد أدرك القدماء ما تهدف إليه هذه الظاهرة من سهولة النطق وتسيره ، والاقتصاد في الجهد العضلي الذي يساعد على التخلص من الثقل الذي يحدثه اجتماع المثلين ، يقول ابن يعيش : (و الإدغام نوع من التخفيف الذي يساعد على التخلص من وطأة الثقل الذي يوجبه اجتماع المثلين ، أو ما يشبههما ، والعود إلى النطق بحرفٍ واحد بدلا من حرفين متجاورين) [2] .

حروف الفم وعلاقتها بالإدغام :

لقد أشار القدماء إلى أن الإدغام يكثُر في حروف الفم واللسان وذلك بخلاف حروف الحلق والشفتين ويقول شيخ العربية : (إنّ الإدغام أكثر ما يكون في أصوات الفم واللسان لأنهما أكثر الحروف) [3] .

ويؤكد هذا قول ابن يعيش (اعلم أن الإدغام في حروف الفم واللسان هو الأصل، لأنهما أكثر في الكلام ، فالثقل فيهما إذا جاورت وتقاربت أظهر، والتخفيف لها ألزم[4]، ونفهم مما سبق أن علماءنا القدامى أدركوا ما تهدف إليه هذه الظاهرة الصوتية من تيسير النطق، وتحقيق حد أدنى من الجهد اللازم لنطق صوتين ، ولذلك قالوا :(رفعُ اللسان بهما رفعةً واحدة) [5] . وتقييدهم اللسان بذلك مبنى على ملاحظتهم : (أن الإدغام أكثر ما يكون في أصوات الفم واللسان لأنها أكثر الحروف) [6] . ويقول الأستاذ مجدي إبراهيم : (لولا تقييدهم اللسان بذلك فقد يلحق الإدغام أصواتا لا دخل للسان في نطقها كأصوات الحلق والشفتين، وبهذا يكون

(١) الكتاب، ج٤، ص٥٧٦ .
(٢) شرح المفصل، ج٥، ص٥١٣ .
(٣) الكتاب، ج٤، ص٥٨٤ .
(٤) شرح المفصل، ج٥،ص٥١٣ .
(٥) المرجع السابق، ص٥١٢ .
(٦) الكتاب، ج٤، ص ٥٨٤ .

التعريف الجامع للإدغام قد خلا من تقييد اللسان بذلك أكثر دقة وشمولا) [١] .وتتفق وجهة نظر المحدثين مع القدماء في أنّ الإدغام يحدث بكثرة في أصوات الفم واللسان ، يقول الدكتورعبد الصبور شاهين : (والإدغام يحدث بكثرة في أصوات الفم ويتجه في غيرها نحو الصوت الأقرب إلى الفم أيضا فهو في الحلق طردي ، وفي الشفتين عكسي، ومنطقة وسط الفم تعد على هذا أشبه بقطب مغناطيسي يجذب إليها ما حوله من أصوات) [٢] .

علاقة المماثلة بالإدغام :

لقد أشار القدماء إلى ظاهرة المماثلة عند حديثهم عن الإدغام ولكنهم لم يطلقوا عليه مصطلح المماثلة ـ إنما أطلقوا عليها التقريب ؛ أي تقريب النطق بالحرفين المدغم والمدغم فيه، يقول ابن جنيِّ : (الإدغام هو تقريب صوت من صوت . . . وهو في الكلام على ضربين ، أحدهما : أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عليها الإدغام ، فيدغم الأول في الثاني . والآخر : أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه . . . . . والمعنى الجامع لهذا كُلُّه تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام[٣] .

ولقد أطلق سيبويه على هذا التقارب لفظ المضارعة ، ويقصد بذلك تقريب الأصوات المجاورة بعضها مع بعض، فضارعوا بها أشبه الحرف[٤] . ولقد أخذ المحدثون هذه الظاهرة عن القدماء وأدرجوها تحت مصطلح المماثلة (Assimilation)وعرفوها بقولهم : (بأنها التعديلات التكيفية للصوت حين مجاورته للأصوات الأخرى) [٥] وعرفها الدكتور أحمد مختار : (بأنها تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما

(١) في أصوات العربية، ص١٠٣ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) الخصائص، ج١، ص٤٩٥ .

(٤) الكتاب، ج٤، ص٦٠٨ .

(٥) الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر، ط١ ١٩٩٨م، ص٢٨٣ .

تماثلاً كليا أو جزئيا) [١] . وذكروا أن الأصوات اللغوية تتأثر ببعضها في المتصل من الكلام ، وهي في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج[٢] . هذا التأثر على أنواع :

١ / التماثل التقدمي : Progressive Assimilation

يتميز التماثل التقدمي في كونه يبث من الصوت الأول (السابق) إلى الصوت الثاني(اللاحق) .

- ففي صيغة (افتعل) من الفعل (زجر) (ازتجر) يجري التيار التأثيري من صوت الزاي الصفيري الذي يتميز بالحدة والوضوح السمعي والجهر إلى صوت التاء الأسناني اللثوي المهموس . ونتيجة هذا التأثير تحول صوت(التاء)إلى صوت (الدال) الشديد المجهور فأصبح الفعل (ازدجر) [٣] ويُسمي المحدثون هذا الباب بالمماثلة التقدمية القياسية، ويشترطون في تحقيقها المجاورة والتجانس وقوة التأثير ـ الأول في الثاني ـ وسقوط الصامت الثاني [٤] .

٢ / **التماثل الرجعي : Regressive assimilation**

فيبث من الصوت الثاني (اللاحق) إلى الصوت الأول (السابق) وسماها ابن جني الإدغام الصغير وهو القائم على المماثلة الرجعية مثل تحويل فاء الافتعال إذا كانت واوا إلى تاء مثل : (تّعد من وعد) . [٥] .

ويقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل : (لا تقتصر المماثلة على الأصوات الصامتة بل تتعداها إلى الأصوات الصائتة . ففي لغة بني سُليم : (مارأيتُ مِنْذُ زمن)، بكسر ميم (مِنذُ) ويبدو أنّ الأصل (مِنْ ـ ذو) حيث قلبت الميم المكسورة تأثرا

(١) المرجع السابق، ص٢٨٣ .

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص١٤٥ .

(٣) الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص٢٨٦ .

(٤) الأصوات اللغوية ، ص٢٨٧ .

(٥) المرجع السابق الصفحة نفسها .

بالضمة اللاحقة في (ذو) فأصبحت (مُنْذُ)، وعلى هذا يكون الأصل (مِنْذُ) [١] .ويذكر الأصواتيون المحدثون أن أصوات الإطباق لها سطوة ونفوذ شديدين حيث يمتد تأثيره إلى ما قبلها وما بعدها من الأصوات[٢] .

٣ / المماثلة المخرجية : Point of Articulation Assimilation

في مثل (انبعث) و(انبرى) [٣] حيث تغير الصوت /ن/ إلى الصوت/م/ ليماثل الصوت/ب/ في الشفتانية فتصبح(امبعث ، وامبرى) . يدعوا البعض هذه المماثلة (توقعية) حيث يؤدي توقع صوت (ما) إلى إحداث تغيير في صوت يسبقه) [٤] .

٤ / المماثلة الكيفية : Articulator assimilation

يُسمي بعض المحدثين التماثل الحادث في لفظة (سراط ـ صراط)هذا التماثل يسمى بطريقة الأداء النطقي[٥] . ولقد أوضح المحدثون مدى صلة المماثلة بالإدغام ، ويقول الدكتور أحمد مختارعمر : (إن المماثلة تعني إزالة الحدود بين الصوتين وصهرهما معا) [٦] ويقول محمد مكي نصر : (إن الإدغام هو خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين، فيصيران حرفا مشددا يرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة) [٧]، ويقول براجشتراسر عن علاقة المماثلة الصوتية بالإدغام : (إن حروف الكلمة مع توالي الأزمان، كثيرا ما تتقارب ببعضها من بعض في النطق وتتشابه ، هذا التشابه نظير لما سماه قدماء العرب إدغاما، غير أن التشابه

(١) الأصوات اللغوية، ص٢٨٨ .

(٢) الأصوات اللغوية، ص٢٨٩ .

(٣)الأصوات اللغوية، ص٢٨٩.

(٤)الأصوات اللغوية، ص٢٨٩

(٥) الأصوات اللغوية، ص٢٨٩

(٦) دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٤، ص٣٨١ .

(٧) في أصوات العربية ، ص١٠٥

والإدغام، وإنْ اشتركا في بعض المعاني ، اختلفا في بعضها ، وذلك في معنى الإدغام : اتَّحاد الحرفين في حرف واحد مشدد ، تماثلا أو اختلفا ، نحو (آمنًا) و (ادَّعى) أما (آمّنا) فالنون المشددة نشأت عن نونيين ، أولاهما لام الفعل والثانية الضمير فاتحادهما إدغام وليس تشابه ، وأما (ادّعى) فأصل (الدال) المشددة : (دال وتاء) والدال فاء الفعل ، والتاء تاء الافتعال ، قُلبت دالا فهذا إدغام وهو تشابه أيضا[١] وحين نمعن النظر في هذه الكلمات ، يتبين لنا أن تأثير الصوت بالصوت قد يكون كُليا كما في (آمنًا) حيث فقد صوت النون الأولى (الساكنة) وجوده كله، وأصبح صوتا آخر وهو النون المشددة (المضعفة) وقد يكون التأثير جزئيا كما في (اضطجع) حيث تأثرت التاء بالطاء فهما من مخرج واحد ومتفقان في الجهر والشدة والإصمات إلاّ أن الطاء تختلف عن التاء لقوتها ولاشتمالها على التفخيم والإطباق والقلقلة ولذلك جذبت الطاء إليها التاء ومن ثم تم تماثلها . [٢] .

الإدغام إما أن يكون واجبا ، أو جائزا أو ممتنعا :

١/ الواجب : إذا سكن أول المثلين ، وتحرك الثاني ، ولم يكن الأول مدا ولا همزة مفصولة من الفاء ، نحو : (جدّ ـ شدَّ) [٣] .

٢ / الجائز : إذا تحرك الحرفان ، هذه الصورة يتردد فيها الإدغام بين الوجوب والجواز مثل قوله تعالى :(. . . وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ . . .) [٤] . بالإدغام عند بني تميم ، والفك عند الحجازيين[٥] . يقول مجديس إبراهيم : (ويظهر ميل تميم إلى الإدغام حين نتذكر ما يُشير إليه النحاة من أنّ قبيلة تميم قد عُرفت بإدغام المثلين في مثل(لم يُحلَّ) في حين أن الحجازيين كانوا يقولون (لم يُحلل) [٦] .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٠٦ .

(٢) في أصوات العربية، ص١٠٦.

(٣) شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي ، تحقيق وائل أحمد عبد الرحمن، الدار التوقيفية للتراث، ص١٢٩ .

(٣) سورة لقمان، الآية ١٩ .

(٥) المرجع السابق، ص١٢٩

(٦) في أصوات العربية، ص١٠٧ .

٣/ الممتنع : إذا تحرك أول المثلين وسكن الثاني ، نحو (ظلِلْتُ) ، أو عُكس وكان الأول هاء سكت ، نحو قوله تعالى : (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩))[١] .لأن الوقوف منوي وقد أدغمه ورش على ضعف .

أقسام الإدغام :

لقد ميز العلماء بين نوعين من الإدغام على أساس حركة المدغم في المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين وهذان النوعان هما :

١ /**الإدغام الصغير :**

(هو ما كان الحرف الأول فيه ساكنا) [٢] . ويقول الدكتور أنيس : (وفيه يتحقق مجاورة الصوتين المتجانسين أو المتقاربين إذ لا فاصل بينهما من أصوات اللين) [٣] . وحكمه وجوب الإدغام ، و ذلك إذ لم يكن الأول حرف مد ، نحو : (قالواهم) ، و(ماليه ـ هلك) [٤] وقد حصر ابن جني هذا النوع من الإدغام في الإمالة الإمالة ، وقلب تاء الافتعال طاًء أو دالا ، وقلب السين صادا قبل حروف الاستعلاء ، وتقريب الصوتين مع حروف الحلق ومع غيرها ، وتقريب الحركة من السكون ، وتقريب السكون من الحركة . [٥] .

٢ / **الإدغام الكبير :**

(هو ما كان أول الحرفين فيه متحركا سواء كانا مثلين أم جنسين أم متقاربين) وسُمي كبيرا لكثرة وقوعه إذا كانت الحركة أكثر من السكون ، قيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه ، وقيل لما فيه من الصعوبة ، وقيل لشموله نوعي الجنسين

---

(١) سورة الحاقة، الآية ٢٨-٢٩

(٢) الإتقان، ج٢، ص١٣٥ .

(٣) الأصوات اللغوية، ص١٥١ .

(٤) ، البرهان في تجويد القرآن، محمد الصادق قمحاوي، دار المنار، ص٥٩ .

(٥) الخصائص، ج١، ص٤٩٥ .

والمثلين والمتقاربين) [١] وبناء على ما سبق ، فإن الإدغام يقع بين المتماثلين المتقاربين والمتجانسين .

فالمثلان : هما الحرفان اللذان اتّحدا مخرجا وصفة ، كالباءين ، والدالين نحو : (اضرب بعصاك) ، و(قد دخلوا) [٢] .

المتقاربان : هما الحرفان اللذان تقاربا مخرجا وصفة ، أو مخرجا لا صفة ، أو صفة لا مخرجا ، كالزاي والذال ، نحو : (إذ زين) أو كالدال والسين نحو : (قد سمع) ، أو كالذال والجيم نحو : (إذ جاءكم) [٣] .

المتجانسان : هما الحرفان اللذان اتحدا مخرجًا واختلفا صفة كالدال والتاء نحو : (قد تبين) [٤] .

(١) الإتقان، ج٢، ص١٣٤ .

(٢) البرهان، ص٥٨ .

(٣) المرجع السابق، ص٥٩ .

(٤) الإتقان، ج٢، ص١٣٦ .

المبحث الثاني

ظاهرة المخالفة الصوتية

مفهومها وأقسامها :

هي تعني : (أنه إذا كان هناك صوتان متماثلان تماًما في كلمة من الكلمات ، فإن أحدهما قد يتغير إلى صوت من أصوات العلة الطويلة في الغالب ، أو إلى صوت من الأصوات المائعة أو المتوسطة Liquid وهي اللام والميم والنون والراء) [١] . ويعرفها الدكتور أحمد مختار بقوله :(بأنها تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ، لكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين)[٢] .؛ أي إنها تعني تغيير أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة إلى صوت آخر مماثل للصوت الأول ، وينظر علماء الدراسات الصوتية إلى ظاهرة المخالفة على أنها الوضع الأمثل اللازم لإعادة الخلافات بين الأصوات، الأمر الذي لا يمكن الاستغناء عنه في إظهار قيم الفونيمات الاستقلالية وهو أمر ضروري لتحقيق حالة التوازن وتقليل المد التأثيري للمماثلة) [٣] .

ويؤكد اللغوي Brosnahan : (أن أكثرية اللغات تعتمد على تحقيق النون والراء تيسيرا للنطق ، وتحقيقا لحالة الانسجام في التيار الكلامي) [٤] ويرى الدكتور أنيس : (أن كُلا من المماثلة ، والمخالفة تهدف إلى تيسر عملية المخالفة التي تهدف إلى التقليل من الجهد العضلي ، فنرى أحد المتماثلين يقلب إلى صوت لين أو ما يشبه أصوات اللين (كاللام ،والنون) وفي هذا أقصى مراحل التسير في الجهد العضلي، فحين نصوغ(افتعل) من الفعل (ظلم) نلحظ أن (اظتلم) قد تجاورت فيها الظاء والتاء وهما مختلفان في الجهر والهمس والشدة والرخاوة، و الإطباق ، والاستفال فقربت

---

(١) في أصوات العربية، ص١١٤ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي، ص٣٨

(٣) الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص٢٩١ .

(٤) الأصوات اللغوية عبدالقادر عبدالجليل ص٢٩١ .

مسافة الخُلف بينهما لتيسير النطق وأصبح الفعل (اظّلم) وهكذا تماثل الصوتان ، وهو أقصى ما يصل إليه التسير في عملية المماثلة فإذا افترضنا أن أحد العرب نطق بهذا الفعل على صور جديدة هي(انظلم) لا يعد الأمر أنه قد لجأ إلى عملية المخالفة ليخالف بين الظائين المتجاورين بأن قلب إحداهما (نونا) ليزيد النطق تسيرا) [١] ونفهم من كلام الدكتور أنيس أنّ المخالفة تبدأ حيث تنتهي المماثلة . أما عن حدوثهما ، فإنهما يحدثان نتيجة تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ، عندما تتركب الأصوات في كلمات وجمل وكذلك القلب المكاني . [٢] وهما كذلك يحدثان في اللغة لتحقيق التوازن وتقليل فاعلية عامل المماثلة ، فالعلماء ينظرون إلى المماثلة (على أنها قوة سالبة في حياة اللغة لأنها ترمي إلى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كما أمكن) [٣] ،ويتخيلون أنه لو تُرك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فرّبما انتهت إلى إلغاء التفريق بين الفونيمات ، وذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم[٤] . والمخالفة تحدث إذا كان هنالك صوتان متماثلان تماما في كلمة من الكلمات[٥] .بيد أن الصوتين المتماثلين يتجهان إلى صوتين مختلفين ، إذا كانا ثقيلين ، كأن يكونا مثلا شديدين ، أو مرققين ، أو مفخمين ، فيتحول أحدهما إلى عكس الآخر فتنشأ المخالفة بينهما ، وبذلك يحدث الانسجام الصوتي ، ويسهل النطق في الكلمة ، دون بذل مجهود عضلي كبير وفي ذلك يقول فندريس : (التخالف وهو الملسك المضاد للتشابه في أن يعمل المتكلم حركة نطقية واحدة وكان من حقها أن تعمل مرتين)[٦] .

أقسام المخالفة :

(١) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ص١٧١ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار، ص٣٨٤ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار، ص٣٨٤

(٤) الفكر اللغوي عند العرب ، رضوان منيسي، ص١٤١ .

(٥) في أصوات العربية ، ص١١٤ .

(٦) الفكر اللغوي عند العرب، ص١٤١ .

تنقسم المخالفة من حيث موقع الصوت المتغير إلى : [1]

١ / مخالفة تجاورية Contact Dissimilation :

وهي مخالفة يكون فيها الصوت المؤثر مجاورا تماما للصوت المتأثر، مثال ذلك (إجَّاص) روي فيها إنجاص ، هنا نلاحظ أن الصوت المؤثر هو /ج/ الثانية والصوت المتأثر كذلك .مثال ذلك (لعلّ) روي فيها (لعن) في حديث الهجرة : (استقبل الناس في المدينة النبي صلى الله عليه وسلم على الأناجير) . ولّجار وإنجار كلا اللفظين بمعنى سطح الدار .

٢ / مخالفة تباعدية : Distant Dissimilation

وتقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر غير مناظر مثل : (اخضوضر) أصلها (اخضرضر) فأبدلت الراء الأولى واو، (اعشوشب) أصلها (اعشبشب) و (بغدان) أصلها (بغداد) .

٣ / المخالفة الكمية : Quantity dissimilation

هذا النوع غالبا ما يكون بين المقاطع الصوتية

لَهُ ، لهو)، و(بِه ، بهي) ، و(لكِ ، لكي) .

وكما تتأثر الصوامت بعامل المخالفة ، كذلك الصوائت حيث تجري وفق قوانينها ، ولعلّ الغاية من ذلك تحقيق التيسير النطقي في أقصى درجاته حين الابتعاد عن النطق المتوالي لحركات متحدة الصيغة البنائية[2] .

ومن أمثلة هذا النوع من التخالف :

(١) الأصوات اللغوية، ص ٢٩٤-٢٩٧ .

(٢) الأصوات اللغوية، ص٢٩٤ .

١ / إبدال الفتحة كسرة حين مجاورتها ألفا والهدف من ذلك تجنب النطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع وهذا يُفسر لماذا نصب جمع المؤنث السالم(بالكسرة بدل عن الفتحة، ولماذا كُسرت نون المثنى على عكس نون(جمع المذكر السالم التي فُتحت) . ويقول الدكتورعبد القادرعبد الجليل : (جمع المؤنث السالم يأتلف بإضافة صائت طويل مع التاء الشديدة المهموسة (آت) [١]

ويقول : (وقد أثّر عن العرب في تقعيدهم لهذا النوع من الجموع أنه ينصب بالكسرة نيابة بدلية عن الفتحة ، وإنه تتساوى فيه حالتا النصب والجر) [٢] .

٢ / إبدال الكسرة فتحة إذا جاورت ياء مد[٣]، كما في كثير من العاميات العربية التي تبدل صيغة (فعِّيل) إلى (فعَّيل) مثل : (عوَّيم ، إكيِّل ، حِبِّيب ، سِهَّير) .

٣/ إبدال الضمتين المتماثلتين إلى ضمة + فتحة[٤]كما يُقال في (سُوُّر، سُور) (ذُلُّل،ذُلل) لاستثقال اجتماع ضمتين مع التضعيف .

العلة في المخالفة الصوتية :

لقد فطن لُغويو العرب القدامى إلى سبب هذه الظاهرة عبروا عنها بكراهية التضعيف ومما يؤيد هذا قول سيبويه : (اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أنْ يكون في موضع واحد ، ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة ، نحو (ضَرَّبٍ) ، ولم يجيء (فَعَّلٌ) (فُعَّلٌ) إلا قليلاً ، و لْم يبنوهن على(فُعَلِل،) كراهية التضعيف، ذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد، ثم يعودوا له ، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يدركوا في موضع واحد ، ولا تكون مُهْلةٌ ، كرهوا وأدغموا لتكون رفعةً

(١)الأصوات اللغوية، ص٢٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٥ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي، ص٣٨٥ .

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

واحدة وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك) [١] . أو عبروا عنها بقولهم : (هذا باب ما شذ فأُبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطّرد، وذلك قولك : (تسرَّيتُ، تظنَّيتُ، وتقصَّيتُ من القصة) [٢] ويذكر المبرد في المقتضب : (أن التضعيف مستثقل، لحركة اللسان في عمليتي الرفع والعودة)[٣] ومن أمثلته : (أملّيتُ في أمللتُ) و(تسريَّتُ في تسررتُ) ويقول المبرد : (والدليل على أن هذا إنما أُبدل لاستثقال التضعيف قولك : (دينار، وقيراط) والأصل (دِنّار، و قِرّاط) ، فأبدلت الياء للكسرة ، فلما فرّقت بين المضاعفين رجع الأصل ، فقلت : (دنانير، وقراريط ، و قُريرط) [٤] وابن جني يشير إلى ما سّماه (إحالة الصنعة) فيقول في الخصائص : (ومن ذلك قول العرب : قصّيتُ أظفاري من لفظ (قصْصَ) وقد آل بالصنعة إلى لفظ(قصَّى) ، وكذلك قوله : (تقضَّي البازي إذا البازي كسر) وهو في الأصل من تركيب(قضض) ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (قضّي) [٥] . وفي التنزيل : ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ [٦] .والقدماء على هذا النحو، استثقلوا التضعيف ورأوا في تحقيقه جهدا كبيرا ، فمالوا إلى إبدال الصوت المضعف بأحد الأصوات الصائتة ، لسهولتها ويسرها في التحقيق ، ذلك لصعوبة ارتفاع اللسان والعودة إلى النقطة نفسها في اللحظة ذاتها لإنتاج الصوت ثانية.

أما العلة في المخالفة من الناحية الصوتية عند علمائنا فتتمثل في أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ، ولتسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب جهدا عضليا مثل أشباه صوت العلة(الواو والياء) وبعض الأصوات

---

(١) الكتاب، ج٤، ص٥٥٨ .

(٢) الكتاب، ج٤، ص٥٦٣ .

(٣) الأصوات اللغوية ، عبد القادر ، عبد الجليل ، ص٢٩٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٥٩ .

(٥) الأصوات اللغوية ، ص٢٩٦ .

(٦) سورة القيامة ، الآية ٣٣ .

المتوسطة (كاللام والنون والراء) ، ويعد ذلك مظهرا من مظاهر التيسير اللغوي) [١] .

المبحث الثالث

ظاهرة الإدغام والمخالفة في أدب الكاتب

أولاً : الإدغام

لم ينص ابن قتيبة في مصنفه (أدب الكاتب) على الإدغام ولكنه أدرج ألفاظا قليلة جدا، وقع فيها إدغام ، وهي في باب ما يُشدد والعوام تخففه) [٢] و (باب ما

(١) الأصوات اللغوية ، ص١٧٠ .

(٢) أدب الكاتب ، ص٢٢٤

جاء خفيفا والعامة تُشدده)[1] يضاف إلى هذا ألفاظ أخرى وردت في ثنايا متفرقة من الكتاب وفيما يلي البيان والتفصيل .

أولاً : إدغام المثلين وجوبا

المثلان : (هما الحرفان اللذان اتحدا مخرجا وصفة ، كالباءين ، والجيمين ، والتاءين) [2] ومن أمثلة إدغام المثلين عند ابن قتيبة قوله : و(االفلّو) مشدد الواو مضموم اللام : قال لُك :

كأن لنا وهْو فلُوٌّ نربـ ُبـ ُه*

وقد نبه على هذا البطليوسي[3] . غير أنّ صاحب اللسان نص على تشديد الواو ، إذا كانت الفاء مفتوحة ، أما إذا كانت الفاء مكسورة فلا يصح التشديد ، ويلزم الواو التخفيف، يقول : (فَلّو) إذا فتحتَ الفاء شددتَ ، وإذا كسرتَ خففت ، فقلتَ (فِلْو) مثل (جِرْو) ، و(الفُلو ، الفَلْو ، الفِلْو) بضم الفاء وفتحها وكسرها (والفِلُو) : الجحش والمُهر إذا فُطم ، وفلا الصبي والمُهر والجحش فلُوا وفلاه وأفلا وافتلاه عزله عن الرضاع فصله ، وقد فلوناه عن أمه أي فطمناه . [4]

وهنا نلاحظ أنّ ابن قتيبة قد تنبه إلى الإدغام حيث قال :

(الفلّو) مشدد الواو ، ويمكننا تفسير هذا الإدغام حيث اتصلت الواو الأولى الساكنة بالواو الثانية المتحركة ، بأن اعتمد عليها اللسان اعتمادة واحدة لأن مخرجهما واحد وصفاتهما واحدة ولذلك نطق بالصوتين صوتا واحدا مشددا .

(١) المرجع السابق ، ص٢٢٤ .

(٢) النشر في القراءات العشر ، ابن الجذري ، تح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، ج١، ص٢١٨ .

(٣) الاقتضاب ، ج٢، ص٢١٧ .

(٤) اللسان ، مادة (فلّو) ، ص١٩١ .

ويقول ابن قتيبة[١] : (هذا أمرٌ مُؤآم) بتشديد الميم مأخوذ من الأَمم ، وهو (القُرب) حيث أدغمت الميم الأولى الساكنة في الميم الثانية المتحركة لاتحادهما في المخرج والصفات.

ثانياً إدغام المتقاربين :

إن الأصوات تتقارب مخارجها ، حيث إن الصوت ما هو إلاّ مخرج وصفة ، فعند ما يدنو الصوت بمخرجه من مخرج آخر ، تكون العلاقة بينهما قُرب المخرج ، وقد تكون صفات الصوتين مع اختلاف المخرج متقاربة أو متباعدة فيحدث الإدغام . والمتقاربان : هما الحرفان اللذان تقاربا مخرجا وصفة ، أو مخرجا لا صفة ، أو صفة لا مخرجا .[٢] ، ومن الأمثلة التي أوردها ابن قتيبة عن إدغام المتقاربين يمكن إدراجها تحت إدغام (ال) لام التعريف في حروف (الراء ، الطاء ، النون ، الدال ، الشين) ومن أمثلة ذلك :

١ / إدغام لام المعرفة في الراء :

يقول ابن قتيبة في(باب ما جاء خفيفاً والعامة تشدده) (الرَّباعية) و(الرَّفاهية) [٣] والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة أن لام المعرفة الساكنة أُبدلت (راء)، ثم أُدغمت الراء الأولى الساكنة في الراء الثانية المتحركة في الكلمات (الرباعية) و(الرفاهية) لأن اللام والراء متقاربان مخرجا ، ومتفقان في الجهر ، غير أنّ الراء قُويت بالتكرير فجذبت اللام إليها ، فتمت المماثلة الصوتية ، ثم الإدغام ومما يؤيد إدغام لام المعرفة الساكنة في (الراء) قول سيبويه : (تدغم لام المعرفة مع أحد عشر حرفا هي : (النون ، والراء ، والدال ، التاء ، والصاد ، والطاء ، والزاي ، واالسين ، والظاء ، والثاء ، الذال)٣[٤]

(١) أدب الكاتب ، ص٢٢٤ .
(٢) النشر ، ج١ ، ص٢١٨ .
(٣) أدب الكاتب ، ٢٢٤ .
(٤) أدب الكاتب ، ٢٢٤ .

٢ / إدغام لام المعرفة في الطاء في كلمة (الطَّواعية[١])

ويمكن تفسير إدغام لام المعرفة الساكنة في الطاء على أساس أنهما متقاربان مخرجا، ومتفقان في الجهر ، غير أنّ الطاء أقوى من اللام لشدتها وقلقلتها وتفخيمها للإطباق والاستعلاء ، ومن ثم جذبت الطاء اللام وتمت المماثلة الصوتية بينهما ثم الإدغام وحين النطق نقول : (طّواعية)

٣ / إدغام لام المعرفة في الدال في كلمة (الدَّرك) [٢] .

والتفسير الصوتي لإدغام اللام الساكنة في الدال هنا ، أنهما متقاربان مخرجا ، ومتفقان في صفة الجهر ، غير أنّ الدال أقوى من اللام لشدتها وقلقلتها ، فجذبتها إليها ، وتمت المماثلة والإدغام وحين النطق نقول (ادّرك) .

٤ / إدغام لام المعرفة في النون في كلمة (النَّهر) [٣]

ويمكن تعليل إدغام لام المعرفة في النون ، لأنهما متقاربان مخرجا ومتفقان شدةً وانفتاحا واستفالاً ، والنون أقوى من اللام لما تتميز به من الغنة ، ولذلك جذبت اللام إليها ، فتمت المماثلة الصوتية بينهما ، ثم الإدغام ، وحين النطق نقول : (ّانهر) .

٥ / إدغام لام المعرفة في الشين في كلمة الشَّعر ، الشَّمع[٤]

يمكننا تفسير إدغام لام المعرفة الساكنة في الشين في هذا المثال ، أنها تأثرت تأثًرا مدبرا ، ذلك أن صوت الشين فيه تفشي وانتشار واستطالة فساعد ذلك على جذب اللام إليها ، فتمت المماثلة الصوتية ، ثم الإدغام وحين النطق نقول : (اشَّمع ، واشَّعر).

---

(١) أدب الكاتب ، ٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص٢٢٥ .

(٣) أدب الكاتب ، ص٢٢٦

(٤) أدب الكاتب ، ص٢٢٩ .

ونخلص مما سبق أن لام المعرفة الساكنة تدغم في (الراء ، والطاء ، والدال ، والنون ، والشين) وأن هذا الإدغام من أجل السهولة والخفة في النطق ، لأنه يساعد على التخلص من الثقل الذي يحدثه اجتماع المثلين .

ثانياً : المخالفة

لقد فطن ابن قتيبة إلى هذه الظاهرة الصوتية ، وعبّر عنها بقوله : (بإبدال الياء من أحد الحرفين المثلين إذا اجتمعا) ومن ذلك قوله : [١](تظنَّيتُ) من الظنَّ ؛ وأصله (تظننتُ) . قال العجاج :

- تقضَّي البازي إذا البازي كسر *

أراد تقضُّض و(تمطّى) أصله(تمطّط) أي : مدّ يده ومنه (المشية الُمطيطاء) هي التبختر، و(أمللتُ الكتاب) و(أمليته) قال تعالى : (. . فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ . . .) [٢] . وتفسير التخالف الصوتي في هذه الأمثلة ، إنه نتج بفك التضعيف ، وأُبدلت الحروف المتماثلة بالمخالفة إلى حروف مد من أجل السهولة وتيسير النطق ، ونخلص مما سبق أن أشباه أصوات العلة ـ الياء . أكثر الأصوات تعرضا للإبدال نتيجة المخالفة الصوتية ، وهذا ينشأ لتقليل الجهد العضلي ، ولسهولة النطق وتيسيره ، فيقلبون أحد الصوتين المثلين إذا اجتمعا ياء بشرط ألاّ يوجد فاصل بينهما بصامت آخر ؛ أي أن يكون الصوتان المتماثلان متصلين ، ومن أمثلة المخالفة عند ابن قُتيبة قوله في باب : (باب الإبدال من المشدد) [٣] . (تَكَمْكَم الرَّجُل) من الكُمة ، وهي القلنسوة و(تَمَلْمَلَ على فراشه) والأصل (تملّل) من المَلّة وهي الرماد الحار قال الشاعر :

- بَاتتْ تُكَرْكِرُهُ الجَنُوبْ *

(١) أدب الكاتب ، ص٢٨٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

(٣) أدب الكاتب ، ص٢٩٠ .

وأصله (كُرِّره) من التكرير، وقوله تعالى : ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ [1] . وأصلها (كبِّبوا) من (كببتُ الرَّجل على وجه) ، وتفسير هذا أنّ الصوت الأول والثالث في هذه الأفعال متماثلين ، وكذلك الصوت الثاني والرابع متماثلين ، من أجل هذا أبدلوا الصوت الثالث وهو الميم من الفعل (تكّمم) كافا ، وأبدلوا الراء الثالثة من الفعل (تكّرر) كافا ، السبب في هذا التخالف أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي حين النطق بهما في كلمة واحدة ، لهذا تطور الصوت الثالث في الكلمات السابقة بتأثير المخالفة الصوتية فقُلب إلى صوت آخر لا يتطلب مجهودا عضليا حين النطق به ، ومن أمثلة المخالفة الصوتية أيضا قول ابن قتيبة في : (باب ما يُشدد والعوام تخففه) [2] ، (الإجّاص) و(الإجانة) وهي (الأتّرجة) و(الأتُرج) و أبو زيد يحكي (ترنجة) و(تُرنج) قال علقمة بن عروة :

يَحْمِلْن أُترجَّةً نضخُ العبير بها كأنَّ تِطْيَابها في الأُفِ مَشُومِ

حيث أُبدلت الجيم الأولى في : (الإجّاص . والإجّانة . والأتُرجة) إلى صوت آخر وهو النون ، فقالوا : (الإنجاصة . والإنجانة . والأترنجة) وهذا يعد تطورا صوتيا ، حيث تطور صوت الجيم ، فقلب إلى أحد الأصوات المائعة وهو صوت النون ، نتيجة تأثير قانون المخالفة الصوتية [3] .

المبحث الأول

(١) سورة الشعراء ، الآية ٩٤ .

(٢) أدب الكاتب ، ص٢٢٤ .

(٣) أدب الكاتب ، ص٢٢٤ .

ظاهرتا الفتح والإمالة

الإمالة ضربٌ من ضروب التأثير الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاور، وهي والفتح صائتان ؛ أي يندرجان تحت ما يسميه الأوربيون (vowels) ، وقد يكونان طويلين أو قصيرين[١] . يقول ابن الجذري : (الإمالة و الفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم) [٢] .

مفهوم الإمالة في اللغة :

تسمى الكسر والبطح والإضجاع ، وهي مصدر أملتُ الشيء إمالة : عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها[٣] . يذكر ابن فارس : (أنَّ الميم ، والياء ، واللام كلمة صحيحة تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه ، مالَ يميلُ ميلاً ، والميـُلاء من الرمل : عقدة ضخمة تعتزل وتميل ناحية ، والميـُلاء : الشجرة الكثيرة الفروع . . . والأَميل من الرجال ، يقال إنه الذي لا يثبت على الفرس ، وإن كان كذا ، فلأنه يميل عن سرجه) [٤] ، وتأتي الإمالة بمعنى ميول الشمس مالت الشمس ميولاً : صيفت للغروب ، أو زالت عن كبد السماء[٥] .

مفهوم الإمالة عند النحويين :

لقد أشار إمام العربية سيبويه إلى ظاهرة الإمالة في مؤ لفه الكتاب قائلاً : (لألف تـُمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك نحو :عابِد ، وعالِم . . . وإنما أمالوها للكسرة ، التي بعدها ، أرادو أن يقربوها منها . [٦] ويقول ابن جني معنى الإمالة هو : (أن تنحو بالألف نحو الكسرة ، فتميل الألف نحو الياء، لضرب من التجانس) [٧] ويقول السيوطي : (الإمالة أن تنحي جوازا بالألف نحو الياء لضرب

---

(١) التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٧٩ .

(٢) النشر في القراءات العشر ، ج١ ، ص ٢٤ .

(٣) شذا العرف ، ص١٣٨

(٤) مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس ، مادة (ميل) تحقيق عبد السلام هارون ، ج٥ ، ص٢٩٠ .

(٥) القاموس المحيط ، مادة (ميل) ج٤ ، ص ٥٢ .

(٦) الكتاب ، ج٤ ، ص ٢٤٨ .

(٧) كتاب اللمع في العربية ، ابن جني ، تحقيق الدكتور / فائز فارس ، دار الأمل للنشر ، ١٩٩٠م ، ص ١٤٤ .

من تجانس الصوت) [١] فهي إذًا عدول بالألف المفخمة وبين مخرج الياء[٢] ونفهم مما سبق أن الألف تُمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وهذا يكون من أجل التناسب بين الحركات بتقريب بعضها من بعض والإمالة على هذا وسيلة من وسائل تحقيق الانسجام الصوتي الذي يترتب عليه الاقتصاد في الجهد العضلي .

مفهوم الفتح :

هو عبارة عن فتح القاريء لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له أيضا التفخيم

وربما قيل له النصب[٣] . والفتح : (هو عكس الإمالة وهو أن تنحو بالفتحة نحو الضمة وبالألف نحو الواو) [٤] . وقسمه ابن الجذري إلى قسمين [٥]

١ / فتح شديد : هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف ولا يجوز في القرآن وهو معدوم في لغة العرب وإنما يوجد في لغة العجم ، ولاسيما أهل خراسان .

٢ /فتح متوسط : وهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة ويقال له الترقيق وقد يقال له التفخيم بمعنى أنه ضد الإمالة . أقسام الإمالة عند ابن الجذري : [٦] .

١ / الإمالة الشديدة : يتجنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه .

٢ / الإمالة المتوسطة : تكون بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة .

أيهما أصلٌ الإمالة أم الفتح :

(١) همع الهوامع ، السيوطي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م ، ج٣ ، ص ٣٧٥ .

(٢) شرح المفصل ، ج٥ ، ص٢٠ .

(٣) النشر ، ج١، ص٢٣ .

(٤) علم الأصوات ، ابتهال كاصد الزيدي ، دار أسامة للنشر ، الاردن ٢٠٠٥ م ، ص ١٧١ .

(٥) النشر ، ج١، ص ٢٣ .

(٦) النشر ، ج١، ص ٢٤ .

وقد اختلف أئمتنا في كون الإمالة فرعًا عن الفتح أو أن كُلا منهما أصلٌ برأسه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن . فذهب أكثرهم إلى أنّ الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه ويلخص ابن الجذري أراء القدماء فيقول : (فذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر، وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب . قالوا : وجود السبب لا يقتضي الفرعية ولا الأصالة . وقال آخرون : (إن الفتح هو الأصل وإنّ الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب فإن فُقد سبب لزم الفتح ، وإن وُجد شيء منها جاز الفتح والإمالة ، فما من كلمة تُمال إلا ومن العرب من يفتحها ولا يُقال كل كلمة تُفتح من العرب من يُميلها) .

فقالوا : (فاستدللنا باطّراد الفتح وتوقف الإمالة على أصالة الفتح وفرعية الإمالة ، وقالوا أيضا : إنّ الإمالة تُصيِّر الحرف بين حرفين بمعنى أن الألف المُمالة بين الألف الخالصة والياء ، وكذلك الفتحة المُمالة بين الفتحة الخالصة والكسرة والفتح يبقي الألف والفتحة على أصلها) قالوا : (فلزم أن الفتح هو الأصل والإمالة فرعٌ) [١] .

ويقول عبده الراجحي : (ومعنى ذلك أن الإمالة متحولة عن الفتح ولذلك اهتم القدماء . وبعض المحدثين . بموضوع الأصلية و الفرعية فيهما وذهب الأكثرون إلى أنّ الفتح هو الأصل و الإمالة فرع عليه) [٢] . ، ويعالج الدكتور أنيس الموضوع بطريقة علمية حديثة ، فيرى أن الإمالة أقدم في حالات ، والفتح أقدم في حالات أخرى ، فالإمالة في الألف التي أصلها ياء تطورت من صائت مركب(Diphthong) إلى إمالة إلى فتح (بَيَع) أما الإمالة بغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة أو إمالة الألف غير المنقلبة عن أصل فليس هذا إلا نوعا من

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) التطبيق الصرفي ، ص ١٨٠ .

الانسجام بين الصوائت ، وهذا الانسجام أقرب إلى السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي ، وعليه فإن الكلمة التي تشتمل على صوائت منسجمة أحدث من نظيرتها التي خلت صوائتها من الانسجام . على ذلك فإن كلمة (كِتَاب) بالفتح أقدم منها بالإمالة[١] .

ما يمنع الإمالة :

يقول ابن جني : (واعلم أنّ من الحروف حروفاً تمنع الإمالة في كثير من المواضع وهي حروف الاستعلاء ، وعدّتها سبعة : (الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والغين ، والخاء ، والقاف) . فإذا كان واحد من هذه الحروف قبل الألف أو بعدها مفتوحًا أو مضموما . منع الإمالة) [٢] . فالذي هو قبل الألف، نحو قولك : (صالح ، وضامن ، و طالب ، وظالم ، وغالب ، وخالد ، وقاسم . لا تجوز الإمالة في شيء من هذا ونحوه) [٣]. وأما إذا وقعت هذه الحروف بعد الألف نحو : (حاصل ، وفاضل ، عاطل ، ومتعاظم ، وسالخ ،وشاغل، ونافق) . فإنْ كان شيء من هذه الحروف قبل الألف لا بعدها جازت معه الإمالة وذلك نحو : (صفاف ، قفاف ، وجفاف ، وخفاف، و طلاب ، غلاب) [٤]

ويقول سيبويه : (وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة في(مساجد) ونحوها؛ فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، ص ١٤٤ .

(٢) اللمع في العربية ، ص ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

(٤) اللمع ، ص ١٤٥ .

وجهٍ واحد أخفّ عليهم كما أنّ الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه) [١]

الغرض من الإمالة :

إن غرض الإمالة : (أن تُنحي بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء ، حتى يزول الاستثقال ، حين النطق بالفتح يكاد يكون اللسان مستويا في قاع الفم ، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ بذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة ، فلا فرق إذن بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ، إلا في اختلاف وضع اللسان مع كل منهما حين النطق بألف المد وياء المد) . [٢] ويقول ابن الجذري إنّ غرض الإمالة : (هو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء) [٣] ثم أسند حديث حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين) . قال ابن الجذري : (الإمالةُ لا شك من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها) [٤] . فأغراضها إذًا أحد أمرين :

أولهما : تناسب الأصوات وتقاربها ، وبيان ذلك أن النطق بالياء والكسرة مستفل منحدر، والنطق بالفتحة والألف مستفل متصعد ، وبالإمالة تصير الألف من نمط الياء في الانحدار والتسفل [٥] .

الثاني : التنبيه على أصل أو غيره[٦] .

---

(١) الكتاب ، ج٤ ، ص ٢٤٩ .

(٢) اللهجات العربية ، ص ١٤٥ .

(٣) النشر ، ج١، ص ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٥) همع الهوامع ، ج٣ ، ص ٣٧٥ .

(٦) حاشية الصبان ، ج٤ ، ص ٣١٠ .

فائدة الإمالة :

هي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والإنحدار أخف على اللسان من الارتفاع هذا لمن أمالَ ، وأما من فتح راعى كون الفتح أمتن أو الأصل. [١]

ها هو ذاعبقري العربية ابن جني يـُعد الإمالة فرعا من الإدغام ، ويسميها الإدغام الأصغر ويقول : (أما الإدغام فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك ، فمن ذلك الإمالة ، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت ، وذلك نحو : (عِالِم ، وكِتاب ، وسعى ، وقضى . . . . أَلا ترّاك قربت فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سعى وقضى نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها) . [٢]

أما حكم الإمالة فهو الجواز . فكل ُسمال يجوز فتحه ، و أما محلها غالبا في الأسماء ، المتمكنة، والأفعال ، وقليلًا في بعض الحروف [٣] ، وأما عن لهجات القبائل في الفتح والإمالة فيكاد علماؤنا القدامى يتفقون على أن الفتح لهجة أهل الحجاز ، وأن الإمالة لهجة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس [٤] ، وقد ألمح الدكتور رمضان عبد التواب إلى أنّ بعضًا من القبائل الحجازية كانت تميل ما هو مفتوح ، حيث يقول : (من المتوقع أن تكون قبائل الحجاز وصلت إلى المرحلة الرابعة من مراحل التطور وهي الفتح ولكن مرت عليه فترة من الفترات كانت عند المرحلة الثانية وهي الإمالة ولما انتقلت إلى المرحلة الرابعة وهي الفتح ، وشاعت هذه المرحلة عند قبائل الحجاز ، بقيت قلة قليلة تنطق بالإمالة ، وهذا ما يسمى

(١) النشر ، ج١، ص ٢٨ .

(٢) الخصائص ، ج١، ص ٤٩٥ .

(٣) الهمع ، ج٣ ، ص٣٧٥ .

(٤) النشر ، ج١، ص٢٧ .

بالركام اللغوي ؛ ومعناه : (أن الظاهرة اللغوية حينما تموت ، لا تموت تماما ، بل تبقى بقايا تدل عليها تتصارع مع الزمن ، ومن أمثلة ذلك لغة (أكلوني البراغيث) ، وكسر أحرف المضارع وغير ذلك)[١] . ، وبناءً على ما سبق ، فإنّ الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها الأقدمون في كتبهم ، وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعا مما ذكروه ، فهي إذن صفة كثيرة الشيوع عند العرب في نطقهم[٢] . ويقول عبده الراجحي : (ومهما يكن من أمر فإنّ الإمالة كانت منتشرة في لهجات عربية قديمة ، وهي تمثل مستوى اللغة الفصحي ويُقر بها القرآن الكريم ، وهي الآن منتشرة في بعض اللهجات العربية وبخاصة لبنان)[٣] .

أسباب الإمالة :

أسباب الإمالة قسمان لفظي ومعنوي فاللفظي الياء والكسرة والمعنوي الدلالة على ياء أو كسرة ، وهذه الأسباب أجملها عبده الراجحي[٤] في النقاط الآتية :

١ / كسرة متقدمة ولابّد أن يفصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل ، وأقله حرف واحد مفتوح نحو (كِتاب ، حِساب) .

٢ / ياء متقدمة نحو(أياما ، شيبان ، الحياة) .

٣ / كسرة متأخرة نحو(عابد ، من الناس ، في النار) .

٤ / ياء متأخرة نحو (مبايع) .

٥ / كسرة مقدرة في المحل الممال نحو(خاف) أصله (خوف) .

٦ / ياء مقدرة في المحل الممال نحو (يخشى ، أتى) .

٧ / الألف التي يكسر ما قبلها في بعض أحوال الكلمة ، نحو قولك في(خاف) خِاف ، وفي (صار) صِار لقولك (صِرتُ ، وخِفت) .

---

(١) في أصوات العربية ، ص١٢٧ .

(٢) في أصوات العربية ، ص١٢٧ .

(٣) التطبيق الصرفي ، ص١٧٩ .

(٤) اللهجات العربية ، ص ١٤٦ .

٨ / إمالة لأجل إمالة نحو : (رأيتُ عمادا) ، أُميلت فتحة الميم لكسرة العين ، ثم أُمليت فتحة الدال للإمالة قبلها .

٩ / إمالة لأجل الشبه نحو (الحسنى) قالوا إنهم أمالوا لشبهها بألف (الهدى) .

١٠ / إمالة لكثرة الاستعمال نحو (الناس) .

ملاحظات على الإمالة :

١ / الإمالة ظاهرة خاصة بالنطق فقط ، والكتابة العربية ليس فيها رسم يمثل الإمالة .

٢ / ركز القدماء على إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء وذكر بعضهم إمالة أخرى وهي إمالة الفتحة نحو الضمة والألف نحو الواو وهذه الإمالة تلحظ في اللهجة المصرية العامية مثل : (فُوق ، شُوط ، ذُوع) [١] وقد ذكر ابن جني : (مثل هذا النوع من الإمالة في قوله : (و أما ألف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في : (عَالم وخَاتم ، عِالِم ، خِاتِم) . وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم : (سلاَّم عليه . . . وقام زيدٌ وعلى هذا كتبوا الصلوة ، الزكوة ، والحيوة ، بالواو لأن الألف مالت نحو الواو) [٢] .

(١) التطبيق الصرفي ، ص ١٧٩ .

(٢) سر صناعة الإعراب ، ج١، ص ٥٠ .

المبحث الثاني

ظاهرة الهمز

الهمزة عند القدماء :

تناول علماء اللغة القدماء موضوع صوت الهمزة وأفرد بعضهم مباحث خاصة للحديث عن الهمزة في كتبهم . يقول الخليل : (والهمزة مخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رُفَّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح) [١] . ويقول سيبويه : (الهمزة حرف مجهور من أقصى الحلق) [٢] . وقال المبرد : (الهمزة حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف ، ولا يشركه في مخرجه شيء ولا يدانيه إلا الهاء والألف) [٣] . والهمزة أيضاً : (حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق ، إذْ كان أدخل الحروف في الحلق ، فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع) [٤] . وذكر ابن جني أن مخرج الهمزة من أسفل الحلق وأقصاه[٥] .

أما ابن سينا فله رأي آخر حيث يقول : (فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطّرجهالي الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء

---

(١) العين ، ج١، ص٣٧ .

(٢) الكتاب ، ج٤، ص ١٣٥ .

(٣) في أصوات العربية ، ص ١٣٥ .

(٤) شرح المفصل ، ج ٥، ص ٢٦٥ .

(٥) سر صناعة الإعراب ، ج١، ص ٤٦ .

ثم اندفاعه على الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا) [١] . ويذكر ابن الجذري : (أن الهمزة والهاء اشتركا مخرجا وانفتاحا واستفالا وانفردت الهمزة بالجهر والشدة) [٢] هذه بعض آراء القدماء فيما يخص مخرج الهمزة .

الهمز عند المحدثين :

بحث عدد من الدارسين المحدثين مخرج صوت الهمزة وصفتها . ويقول محمود السعران : (يحدث هذا الصوت بأن تُسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتين ، وذلك بانطباق الوترين ، انطباقا تاما فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا) [٣] .

ويقول عبد الصبور شاهين عن مخرج الهمزة : (صوت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة انغلاق الوترين الصوتيين تماما ، ثم انفتاحهما في صورة انفجار مهموس ، فهي إذن صوت حنجري انفجاري مهموس وهي بذلك تعد من الصوامت) [٤] . ويقول كمال بشر : (بأنّ الهمزة هي أول الأصوات العربية مخرجا حكم سليم ولكنها ليست من أقصى الحلق ، وأنما هي من الحنجرة) [٥] . ويقول الدكتور أنيس : (والهمزة صوت شديد لاهو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاًما فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة) [٦] ويقول محمد

(١) أسباب حدوث الحروف ، ص ١٥٠ .

(٢) النشر ، ج١، ص ١٥٨ .

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران ، دار الفكر العربي ، ص١٣١ .

(٤) لهجات القبائل العربية في القرآن الكريم ، راضي نواصرة ، الناشر : مؤسسة حمادة للنشر ، ص ١٥٤ .

(٥) الأصوات اللغوية ، كمال بشر ، دار غريب للطباعة القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩٢ .

(٦) الأصوات اللغوية ، ص ٩١ .

محيسن : (وهي من أصعب الحروف لبُعد مخرجها ولأنها تجتمع فيها صفتان من صفات القوة هما الجهر والشدة)[١].

مما سبق وبعد عرض عدد من آراء علماء اللغة العربية فيما يخص مخرج الهمزة ووصفها ، يمكننا أن نلحظ رؤية علماء العربية القدماء تجاه هذا الصوت ومخرجه وصفاته ، فهم يكادون أن يجمعوا على أن مخرج الهمزة هو من أقصى الحلق ، كما جاء في رأي الخليل ، وسيبويه ، وابن يعيش ، وابن جني .

أما ابن سينا فوصف لنا كيفية النطق بصوت الهمزة كما مرّ بنا . أما علماء اللغة المحدثون ، فقد ذهبوا إلى أن مخرج الهمزة هو الحنجرة ، فالهمزة عندهم صوت حنجري انفجاري كما جاء في رأي محمود السعران ، وكمال بشر، وإبراهيم أنيس وغيرهم. وقد اختلف القدماء والمحدثين في تحديد مخرج الهمزة ، فالقدماء جعلوا مخرج الهمزة من أقصى الحلق ، بينما المحدثون جعلوا مخرج الهمزة في منطقة الحنجرة .

أما عن وصف صوت الهمزة ، فقد ذهب القدماء إلى أن صوت الهمزة مجهور كما رأينا ذلك في قول ابن الجذري : (أن الهمزة والهاء اشتركا مخرجا وانفتاحا واستفالاً وانفردت الهمزة بالجهر والشدة) . ووصف إمام العربية سيبويه صوت الهمزة بقوله : (فأما المجهورة فالهمزة ، والألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم نوالباء) [٢] . أما المحدثون فقالوا : إنّه صوت غير مجهور ، بيد أنهم اختلفوا في وصفه ، فقد ذهب بعضهم إلى أنها مهموسة ، وذهب البعض الآخر إلى أنها صوت لا هو مجهور ولا هو مهموس ، ولكل من الفريقين دليل بنى عليه رأيه ، فالقائلون بالهمس بنوا رأيهم على أساس أن الهمزة لا يتذبذب معها الوتران الصوتيان ، حيث ينحبس الهواء الخارج من الرئتين ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : (

(١) لهجات القبائل العربية في القرآن الكريم ، ص ١٥٤ .

(٢) الكتاب ، ج٤ ، ص ٥٧٣ .

والهمزة صوت أصيل في اللغات السامية كلها ، وهو صوت حنجري شديد مهموس ، ينطق بأن يلتقي الوتران الصوتيان أحدهما والآخر التقاءً محكما يحبس خلفهما الهواء الخارج من الرئتين حتى إذا زال الالتقاء سمعت للهواء المحبوس انفجارًا هو صوت الهمزة) [١] ، وأما القائلون بأن الهمزة صوت لاهو مجهور ولا هو مهموس ، فقد بنوا رأيهم على أساس أن صوت الهمزة إذا انطلق من مخرجه إما أن يؤثر في الوترين الصوتيين فيحدث الجهر ، أو لا يؤثر فيهما فيحدث الهمس ، يقول الدكتور أنيس : (والهمزة صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما ، فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة) [٢]، وتكاد تجمع كتب العربية على أن تحقيق الهمزة من لهجات تميم وأسد وقيس ومن جاورها ؛ أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز [٣] ، ويسأل الدكتور إبراهيم أنيس قائلا : (كيف تَأتّى أنّ البيئة الحجازية التي عُرفت بالتأني في الأداء ، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة ، أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها ؟ إذْ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات) [٤] ، و يرد عليه الدكتور عبده الراجحي قائلا : (والذي عندنا أن تحقيق الهمزة يناسب البيئة البدوية ، إذ ثبت أنها صوت شديد لأنها صوت حنجري انفجاري لا هو بالمجهور ولا بالمهموس) [٥] . ولقد أدرك القدماء هذه الحقيقة عن الهمزة فعبر غير واحد منهم عن ثقلها وصعوبتها في النطق يقول ابن جني : (وإنما لم تجتمع (الفاء والعين) ، ولا (العين واللام) همزتين ، لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل في الحلق وبُعد عن الحروف ،

(١) في أصوات العربية ، ص ١٣٥ .

(٢) الأصوات اللغوية ، ص ٩١ .

(٣) شرح المفصل ، ج٥، ص ٢٦٥ .

(٤) اللهجات العربية ، ص ٨٧ .

(٥) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

وحصل طرفا ، فكان النطق به تكلفا) [١] ويقول ابن يعيش : (الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذْ كان إخراجه كالتهوع فلذلك الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة ، والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا لأن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف) [٢] .

أحوال الهمزة في اللغة العربية :

للهمزة في اللغة العربية ثلاثة أحوال : التحقيق والتسهيل والتحويل ، قال أبو زيد الأنصاري في اللسان : (الهمز على ثلاثة أوجه : التحقيق والتخفيف والتحويل ، فالتحقيق منه أن تعطي الهمزة حقها من الإشباع ، فإذا أردت أن تعرف إشباع الهمزة فاجعل العين في موضعها كقولك من (الخبء) : قد (خبأت لك) بوزن (خبعت لك) ، و(قرأت) بوزن (قرعت) ، فأنا (أخبع) ، و(أقرع) ، وأنا (خابع و خابيء) و(قاريء) نحو(قارع) . والتخفيف من الهمز إنما سموه تخفيفا لأنه لم يعط حقه من الإعراب والإشباع ، وهو ُشرب همزا ، تصرف في وجوه العربية بمنزلة سائر الحروف التي تحرك كقولك : (خبات وقرات) فجعل الهمزة ألفا ساكنة على سكونها في التحقيق وأما التحويل من الهمز ، فأن تحول الهمزة إلى الياء والواو كقولك (قد خبيت المتاع فهو مخّبئ ، فهو يخباه) ، تقول (رفوتُ الثوبَ رفوا) ، فحولت الهمزة واوا .[٣] ، ويبين سيبويه السبب في تخفيف الهمز، فيقول : (اعلم أن الهمزة إنما فُعل بها هذا (التخفيف) لأنها ُبعَد مخرجها ، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك ؛ أي تحقيق الهمزة ، لأنه كالتهوع) [٤] .

(١) سر صناعة الإعراب ، ج١، ص ٦٩ .

(٢) شرح المفصل ، ج٥ ، ص ٢٦٥ .

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، ج١، ص ٢٢ .

(٤) الكتاب ، ج٤ ، ص٢٩ .

ويقول السيوطي : (اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقا ، وأبعدها مخرجا ، تنوع العرب في تحقيقه بأنواع التخفيف ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا ، ولذلك أكثر ما ورد تخفيفه من طرقهم) [١] .

المبحث الثالث

الإمالة والهمز في أدب الكاتب

تحدّث ابن قتيبة عن الفتح والإمالة في مصنفه (أدب الكاتب) من خلال عرضه نماذج قليلة . من ذلك قوله : (تُكتب الهدى والهوى . هوى النفس . والمدى الغاية بالياء) [٢] ؛ لأنك تقول في تثنيته (هُديان ، وهَويان ، ومَديان) ، فإن أشكل عليك من هذا الباب حرف ولم تعرف أصله ولا تثنيته فرأيت الإمالة فيه أحسن فاكتبه بالياء ، وإن لم تحسن فيه الإمالة فاكتبه بالألف حتى تعلم .

وهنا نلاحظ أن ابن قتيبة جوّز الفتح والإمالة في الكلمات (الهدى ، الهوى ، المدى) قائلا : (إن لم تحسن فيه الإمالة فاكتبه بالألف حتى تعلم) [٣] ، ويمكننا تفسير الإمالة بأنْ نحونا بالألف نحو الياء ، وبالفتحة نحو الكسرة فنطقنا : (الهُدِي ، الهوي ، المدِي) هذا من أجل الانسجام والتناسب بين الأصوات .

ويقول صاحب الحاشية : (إن غرض الإمالة تناسب الأصوات و صيرورتها من نمط واحد ، وبيان ذلك إذا قلت(عابد) كان لفظك بالفتحة والألف استعلاء وتصعد وبالكسرة انحدار وتسفل فيكون في الصوت بعض اختلاف فإذا أَملتَ الألف قُربت من الياء وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة فتُقارب الكسرة الواقعة بعد الألف وتصير الأصوات من نمط واحد ، وهذا نظير إشمامهم الصاد زايا في نحو (يصدر)

(١) الإتقان ، ج١، ص ١٣٩ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ١٦٢ .

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

للتناسب لأن الصاد حرف مهموس والدال مجهور فبينهما نفرة والزاي تشاكل الصاد في الصفير والدال في الجهر فإذا أُشربوا الصاد زايا حصل تناسب الأصوات[١] . غير أن الفتح هو الأصل . إذا كّنا لا نُحسن الإمالة على حد قول ابن قتيبة . والدليل على ذلك قول عبده الراجحي : (أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب ، فإن فُقد منها لزم الفتح ، وإن وُجد شيء منها جاز الفتح والإمالة فكل ألف منقلبة عن ياء جاز إمالتها) [٢] . ومما يؤيد أن الإمالة هنا جائزة أن القراء اختلفوا في قراءة كلمة (الهدى) وما أشبهها فالكسائي وأبو عمرو يُميلان ، وابن كثير وابن عامر يفتحان[٣] .

إمالة بعض الحروف عند ابن قتيبة :

إن الحروف لا تمال لأنها غير متصرفة ، ولا تثنى ولا تُجمع ويقول ابن يعيش : (والقياس يأبى الإمالة في الحروف لأنها أدوات جوامد غير متصرفة ، ولا تلحقها تثنية ولا جمع ولا تغيير فلا تصير ألفاتها ياءات) [٤] بيد أنهم أمالوا بعض الحروف ، ونبهوا على إمالتها أحسن وأفصح من التفخيم يقول ابن قتيبة : (تكتب (بلى) و(متى) و(أّنى) بالياء لأن الإمالة فيها أحسن وأفصح من التفخيم) [٥] . ولقد ذهب العلماء إلى إمالة (بلى) على أساس أنها على ثلاثة أحرف فهي كالأسماء ، كما أنها تشبه الفعل وتتضمن معنى الجملة يقول الصبان : (وقد أُميل من الحروف (بلى) لأنها نابت عن الجمل فصار لها بذلك مِزْية عن غيرها) [٦] . وقال ابن يعيش : (وإمالة (بلى) أقيس من إمالة (لا) لأنها مع ذلك على ثلاث أحرف كالأسماء[٧] . وإنما أميل (بلى) لجواز السكوت عليها وتضمنها معنى الجملة إذ

---

(١) حاشية الصبان ، ج٤، ص ٣١٠ .

(٢) اللهجات العربية ، ص ١٣٦

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) شرح المفصل ، ج٥، ص ٢٠٥ .

(٥) أدب الكاتب ، ص ١٦٤ .

(٦) حاشية الصبان ، ج ٤، ص ٣٢٢ .

(٧) شرح المفصل ، ج٥، ص ٢٠٥ .

تقول في جواب من قال : (أما قام زيد) ، (بلى) ، أي بلى قام ، فصار كالفعل المضمر فاعله نحو (غزا و، رمى) في الاستعلاء ، فأميل لمشابهته الفعل) [١] . ونفهم مما سبق أنهم أمالوا (بلى) لمشابهتها الاسم ، ولتضمنها معنى الجملة ، وعلى هذا فإن (بلى) كما يقول ابن قتيبة ، تكتب بالياء ، لأن الإمالة فيها أحسن ، وأفصح من التفخيم .

إمالة (متى) و(أنّى) :

يقول ابن قتيبة تكتب : (متى) و (أّنى) بالياء ، لأن الإمالة فيها أحسن وأفصح من التفخيم[٢] . ويقول سيبويه : (والسبب في إمالتهما ، أنهما حرفان مستقلان بأنفسهما ، ولإغنائهما عن الجملة ، ويقول أيضا : (يميلون في (أّنى) لأن (أّنى) تكون مثل (أيْن) ، (خلْفَك) ، وإنما هو اسٌم صار ظرفا فقرب من (عطشى) [٣] . ويقول ابن يعيش: (متى وأّنى) مستقلان بأنفسهما غير محتاجة إلى ما يوضحها كاحتياج (إذا، وما) فقربت من المعرفة فأُميلت لذلك[٤] . ويذهب شارح الشافية : (إلى أنهما يمالان في الاستفهام لحذف الفعل بعدهما يقول : وتمال (أّنى ومتى) . وإن لم يسم بهما . لإغنائهما عن الجملة ، وذلك لأنك تحذف معها الفعل كما تقول (متى) لمن قال : (سارَ القوُم) [٥] . ومنه قول الكميت[٦] .

- أّنى ومِنْ أُبى آتكَ الطربُ *

وهنا نلاحظ أن (أّنى) في هذا البيت ، قد يستغني بها عن الجملة ، فيكون التقدير : (أّنى أتاكَ الطربُ) فحذف ، الفعل الأول لدلالة الثاني عليه .

---

(١) شافية ابن الحاجب ، الأستراباذي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون ج ٣، ص٢٧.

(٢) أدب الكاتب ، ص ١٦٤ .

(٣) الكتاب ، ج٤ ، ص ٢٤٨ .

(٤) شرح المفصل ، ج٥ ، ص ٢٠٥ .

(٥) شافية ابن الحاجب ، ج ٣، ص ٢٧ .

(٦) ورد هذا البيت في الشافية ، ج ٣، ص٢٧ ، وعجزه (من حيث لا صبوة ولا ريب)

وخلاصة ذلك أن إمالة (متى) و(أّنى) أحسن وأفصح من التفخيم ، على نحو ما ذهب ابن قتيبة ، وذلك لأنهما ظرفان مستقلان بأنفسهما ، ويستغني بهما عن الجملة .

إمالة (عسى) :

يقول ابن قتيبة تكتب (عسى) بالياء ، لأنك تقول : (عَيْتُ أن أفعلَ ذلك) [١] . قال عزّ وجل : (وهل عسْيتُم إنْ توليتهم أن تفسدوا في الأرض) [٢]) [٣] . وقد نص ابن يعيش على إمالة (عسى) وذهب إلى ما ذهب إليه ابن قتيبة قائلا : (وأما عسى فإمالتها جيدة لأنها فعل ، وألفها منقلبة عن ياء كقولك : (عَيْتُ، وعَسينا) [٤] [٤] . ودليله على ذلك قول الله تعالى : (وهل عسْيتُم إنْ توليتهم أن تفسدوا في الأرض) [٥] . وقول الشاعر : [٦] .

أكثرتُ في العذْل مُلحًا دائما * لا تُكثرنْ إنِّي عَيِتُ صائما

ثانياً : الهمز في أدب الكاتب

قد تحدث ابن قتيبة عن الهمز في (باب الأفعال التي تُهمز والعوام تدع همزها) و(باب ما يهمز من الأفعال والأسماء ، والعوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها) و(باب ما لا يهمز والعوام تهمزه) [٧] . نذكر بعضا من نماذجه .

١ / يقول ابن قتيبة في (باب ما يهمز من الأفعال والأسماء ، والعوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها) : (ما أشأم فلانا ، وهو مشؤوم ، وقوم مشائيم) وهنا نلاحظ أن

(١) أدب الكاتب ، ص ١٦٤ .

(٢) سورة محمد ،الآية ٢٢

(٣) سورة محمد ، الآية، ٢٢ .

(٤) شرح المفصل ، ج٥ ، ص٢٠٧

(٥) سورة محمد ،الآية ٢٢

(٦) ورد هذا البيت في شرح المفصل ، ج٥، ص ٢٠٨

(٧) أدب الكاتب ، ص ٢١٩ - ٢٢٢

الأصل هو التحقيق (مشؤوم)بالهمزة ، غير أن العامة زمن ابن قتيبة تُسقط الهمزة فتقول (مشووم).

ويمكننا تفسير لجوء العامة إلى حذف الهمزة في هذا النموذج ، أنّ الهمزة فيها صعوبة حين النطق بها لأنها نبرة في الصدر ، وتخرجباجتهاد لبُعد مخرجها ، ومن ثم لجأوا إلى تخفيفها طلبا للخفة واقتصادا للجهد العضلي . وامتداد لما سبق ، يقول ابن قتيبة في (باب الأفعال التي تهمز والعوام تدع همزها) : (أطفأت السّراج ، وقد استخذأتُ له ، وخذأت ، وخذيت لغة) [١] . وهنا نلاحظ أن ابن قتيبة أوجب همز(استخذأتُ) ولكن البطليوسي أجاز ترك الهمز وتسهيله قائلا : (قال الأصمعي : شككتُ في هذه اللفظة ، أهي مهموزة أم غير مهموزة ، فلقيتُ أعرابيا فقلتُ له : كيف تقول : استخذأتُ أم استخذيت ؟ فقال : لا أقولهما ، فقلت له لِم ذلك؟ فقال : لأنّ العرب لا تستخذي لأحد، فلم يُهمِز، وتركُ الهمز في هذه اللفظة (استخذاُتُ) أقيس من الهمز يجعلها مشتقة من الخذاء وهو استرخاء أُذني الفرس، لأن الذّلَ يُعدُّ ليِنا وضعفًا ، كما أنّ العزّ يُعُّد شدة وصلابة ، وهو مشتق من قولهم : أرضٌ عزاز : إذا كانت صُليبة . وقد حُكي أنّ من العرب من يترك الهمز في كل ما يهمز ، إلا أن تكون الهمزة مبدوءا بها) [٢] .

٢ / ويقول ابن قتيبة : (وقد تلكأْتُ تلكُؤا ، وتفّيأتُ تفيُّؤا ، وتقيَّأتُ تقيؤا وتهيأتُ تهيؤا ، وتواطأنا على الأمر تواطؤا وكان ذلك عن تواطٍ وتلكؤٍ ، وتهيؤٍ) [٣] وقد نبه إلى ذلك الحريري بقوله : (ومن أوهامهم قولهم : التباطي والتوضي والتبري والتهزي . . . والصواب أن يقال : التباطؤ ، والتوضوء ، والتبرؤ ، والتهذؤ . . . . فكل ما كان على وزن تفعُّل أو تفاعل مما آخره مهموز كان مصدره على التفعُّل والتفاعل ، وهمز آخره ، ولهذا قيل : التباطؤ ، والتمالؤ ، والتكافؤ ، والتطأطؤ ، لأن الأصل

(١) أدب الكاتب ، ص ٢١٩ .

(٢) الاقتضاب ،ج١، ص ١٧٠ .

(٣) أدب الكاتب ، ص ٢١٩ .

الفعل منها : (تباطأ وتمالأ ، تكافأ وتطاطأ . . .) [١] . وتفسير ذلك أن العامة زمن ابن قتيبة لجأت إلى تسهيل الهمز وتركه ، من أجل السهولة والتيسير .

٣ / ويقول ابن قتيبة : (وقد رفأْتُ الثوبَ أرفؤه ، ورفوتُ لُغة) [٢] . ونلاحظ في هذا المثال أن الهمزة تحولت إلى واو حين تسهيلها ، ومما يؤيد هذا قول صاحب اللسان : (وتقول رفوتُ الثوبَ رفوا ، فحُولت الهمزة واوا) [٣] . ونلُخص مما سبق أن العامة . زمن ابن قتيبة . تميل إلى تسهيل الهمزة بتحويلها واوا طلبا للتخفيف وتيسيرا للنطق .

٤ / ويقول ابن قتيبة في (باب ما يهمز من الأفعال والأسماء والعوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها) وهي : (الكْمأة بالهمز والواحدة كَمْء) [٤] .

ونلاحظ هنا أن (الكمأة) متحركة الهمزة وقبلها سكون على الميم لذلك القوا حركة الهمزة على الميم وحذفوها . يفسر ذلك البطليوسي قائلا : (لا أعلم خلافاً بين النحويين أن من العرب من يخفف (الكمأة) فيلقي حركة الهمزة على الميم ، ويبقى الهمزة ساكنة ثم يقلبها لانفتاح ما قبلها ، فيقول : (كَمأة) على وزن (قطاة) و هذا على نحو قولهم في تخفيف (رأس) راس، وكذلك كل همزة سكن ما قبلها إذا كان ما قبلها حرفا صحيحا أو معتلا أصلًيا ، فإلغاء حركتها على ما قبلها جائز ، إذا لم يعرض عارض يمنع ذلك[٥] . وبناءً على ما سبق، فإن الهمزة إذا كانت ساكنة فإنها تبدل حرفا من جنس حركة ما قبلها ، ويعضد هذا الكلام قول شيخ العربية : (إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة ، فأردت أن تخفف، أبدلت مكانها ألفا ، وذلك قولك في : (رأس وبأس وقرأت) ، راس وباس وقرات . . . . . فإنها تبدل مكان كل همزة

(١) في أصوات العربية ، ص ١٣٩ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ٢٢٠ .

(٣) اللسان ، حرف (الهمزة) ج١، ص ١٩

(٤) أدب الكاتب ، ص ٢٢١

(٥) الاقتضاب ، ج٢ ، ص ١٧٣ .

ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها ، لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها) [١] .

٥ / وقول ابن قتيبة : (هنأني الطعام ومرأني) فإذا أفردوا قالوا : (أمرأني)[٢] . قد أوجب ابن قتيبة تحقيق الهمز في حالة انفراد الفعل (مرأني) ولكن البطليوسي أجاز اللغتين ، يعني إثبات الهمزة وتركها بشرط أن يكون الفعل منفردا ، يقول : (فالحكم في هذا أن يقال إن هذا الفعل إذا انفرد جازت فيه اللغتان ، وإذا ذُكِّر مع (هنأ) قيل : (مرأ) بغير ألف لا غير على الإتباع) [٣] .

٦ / يقول ابن قتيبة : (ضربه بالسيف فما (أحاك فيه ، وحاك خطأ) [٤] . وهنا نلاحظ أن ابن قتيبة يُخطئ العامة في قولهم (حاكَ) و ينبه على أن الصواب (أحاك) بالهمز . ولكن البطليوسي ينبه على صواب (حاك) قائلا : (قد حاك فيه السيف : صحيح) [٥] .

(١) الكتاب ، ج٤ ، ص ١٣٦ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ٢١٩

(٣) الاقتضاب ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

(٤) أدب الكاتب ، ص ٢٢٢ .

(٥) الاقتضاب ، ج٢ ، ص ١٧٦ .

الخاتمة :

وفي الختام أحمد الله عز وجل على التوفيق في كتابة هذا البحث ، وأشكره جل جلاله على جزيل نعمه التي لا تحصى ولا تعد ، أسال الله أن يكون بحثاً نافعاً وعملاً متقبلاً .

جاء هذا البحث بعنوان : (الظواهر الصوتية في اللغة العربية دراسة تطبيقية في كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبه) .

وابن قتيبه أحد العلماء اللذين طرقوا باب الدراسة الصوتية ، فوقفت على ظواهر صوتية عديدة من خلال كتابه(أدب الكاتب) تتمثل في الإبدال ، والإدغام ، والمخالفة ، والهمز ، والإمالة .

والإبدال هو : (إبدال حرف من حرف آخر مطلقا وافقه في المخرج ، أو الصفات أم لا ، بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين مثل انتُقع ، وامتُقع) ، والإدغام هو : (أن تصل حرفا ساكنا ، بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد مثل قولهم : (لم يُحْلَ ، لم يُحلَّ) والمماثلة هي : (تحويل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا جزيئا أو كليا مثل (زجر، ازتجر) .

والمخالفة تعني : (انه إذا كان هناك صوتان متماثلان في كلمة من الكلمات ، فإن أحدهما يتغير إلى صوت من أصوات العلة الطويلة في الغالب ، أو إلى صوت من الأصوات المائعة (LIQUID) وهى اللام والميم والنون والراء مثل قولهم : (تسريِّت) في تسررتُ) .

والإمالة هي : (أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء لضرب من التجانس مثل قولهم في : (عابد ، عِابِد فأُميلت الفتحة نحو الكسرة) . و(الهمزة

حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذْ كان إخراجه كالتهوع فلذلك الاستثقال ساغ فيها التخفيف) .

النتائج :

١- لابن قتيبه مكانة علمية مرموقة بين علماء عصره وهذه المكانة نتاج مثمر لتلك الثقافة المتنوعة التي عرف بها ، ما يدل على ذلك إلا كتبه التي تنمِّ عن شخصية متعددة الثقافة أهلته أن يأخذ من كل علم بطرف .

٢- إبدال الحرف من الحرف في أي كلمة بشرط إتحاد مخرجيهما أو تقاربهما .

٣- إن الحرف إذا كان بدلا لا تكون له وظيفة مستقلة ، إنما يتبع في ذلك المبدل منه هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن استبداله بالحرف الأصلي (المبدل منه) لا يؤدى إلى تغيير معنى الكلمة .

٤- إطلاق (التشديد) على الإدغام كما في قول ابن قتيبة (الفلّو) مشدد الواو متنبهاً إلى أن علة هذا التشديد طلب الخفة والسهولة في النطق ، الذي يساعد على التخلص من الثقل الذي يحدثه اجتماع المثلين .

٥- عدم إدغام حرف في حرف إلا إذا تماثلا ، والسبب في ذلك إرادة التخفيف لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج ليلفظ بحرف أخر مثله صعب عليه ذلك وشبهه النحويين بمشي المقيد .

٦- المخالفة عند ابن قتيبة هي (إبدال الياء من أحد الحرفين المثلين إذا اجتمعا) .

٧- إن المخالفة تحدث عندما يكون في الكلمة صوتان متماثلان فيقلب أحدهما إلى أشباه أصوات العلة كالياء مثلا كما في (تظنّيت) حيث أبدل مخرج أحد الصوتين ياء .

٨ - الإمالة تحدث لأسباب صوتية تؤدى إلى تحقيق الانسجام الصوتي وسهولة النطق، بحيث تتناسب الأصوات وتتقارب ؛ لأن النطق بالياء انحدار وتسفل وبالفتحة والألف استعلاء وتصعد ، وبالإمالة تصير من نمط واحد في الانحدار والتسفل .

٩ – إن الحروف لاتمال ولا تثنى ولا تجمع ، لكن ابن قتيبه أمال بعض الحروف (بلى ، متى ، أنى) والسبب في ذلك لأن (بلى) تشبه الأفعال وتتضمن معنى الجملة ، و(متى وأنى) من الظروف المستقلة بأنفسها التي يستغنى بها عن الجملة و(عسى)فعل جامد ينتهي بألف أصلها ياء لذلك قلبت ألفها ياء عند إمالتها .

١٠ – الهمزة من أثقل الحروف في النطق لبعد مخرجها وهي تحتاج إلى جهد عضلي كبير حين النطق بها وهي محققه ، ولذلك لجأت العامة زمن ابن قتيبه إلى تحفيفها بحذفها أو قلبها واو أو ياء ، وهذا التخفيف غرضه التيسير وسهولة النطق .

التوصيات:

١ – الاهتمام بدراسة الجهود الصوتية عند علماء التجويد ، لما تتمتع به من ثراء وتنوع في المادة ، ودقة التحليل .

٢ – العناية بتدريس التجويد والأصوات اللغوية في الجامعات لأن كلا منهما مكمل للآخر ، وعلما مستقل بذاته .

٣ – توفير معامل لغوية ، ليتعرف دارس الأصوات من خلالها على خصائص الأصوات المختلفة .

قائمة المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، تحقيق خالد العطار ، دار الفكر العربي ، الجزء الأول .

٢. أدب الكاتب ، ابن قتيبة،تحقيق عبدرب النبي علي أبو السعود الجارحي ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ٢٠١١ .

٣. أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، تحقيق فرغلي سيد عرباوي ، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢٠١١ .
٤. أسرار العربية إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ط٨ ،٢٠٠٣ .
٥. الأصوات اللغوية ، عبدالقادر عبدالجليل ، دار صفاء للنشر ١٩٩٨، ط١ .
٦. الأصوات اللغوية ، كمال بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة ٢٠٠٠ .
٧. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، البطليوسي ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ، الجزء الأول ١٩٩٩ .
٨. الأنساب ، السمعاني ، تعليق عبدالله علي البارودي ، دار الفكر بالعربي ، بيروت ط ١٩٨٨، الجزء الرابع .
٩. البرهان في تجويد القرآن ، محمد صادق قمحاوي ، دار المنار .
١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين ، و النحاة ، السيوطي ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي بيروت ١٩٧٩ ط٢ .
١١. التطبيق االصرفي ، عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية .
١٢. حاشية الصبان على شرح الأشموني ، تحقيق عبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ١٩٩٨
١٣. الخصائص ، ابن جني ، تحقيق عبدالحيمد هندواي ، دار الكتب العلمية بيروت الجزء الأول ٢٠٠١ .
١٤. دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط٤ ٢٠٠٦ .
١٥. سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق حسن هند اوي ، دار القلم دمشق ، الجزءالأول ١٩٨٥ ، ط١ .
١٦. شافية ابن الحاجب ، الرضي الأستراباذي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية بيروت ، الجزء الثالث ١٩٩٨ .

١٧. شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي ، تحقيق وائل أحمد عبدالرحمن ، الدار التوقيفية للتراث .
١٨. شرح التصريح على التوضيح ، خالد الأزهري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ، الجزء الثاني٢٠٠٦ .
١٩. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق مفيد قيمحة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠ ط١ .
٢٠. صبح الأعشى في كتابة الإنشاء ، القلقشندي ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، المجلد الأول .
٢١. العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٢
٢٢. علم الأصوات ، ابتهال كاصد الزيدي ، دار أسامة للنشر الأردن ، ٢٠٠٥
٢٣. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ، محمود السعران ، دار الفكر العربي .
٢٤. عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، شرح الدكتور يوسف علي عبدالله الطويل ، دار الكتب العلمية بيروت١٩٩٨ ، الجزء الأول .
٢٥. فقه اللغة وقضايا العربية ، سميح أبومغلي ، دار جدلاوي عمان ، الأردن ، ط١٩٩٨١
٢٦. الفكر اللغوي عندالعرب في ضوء علم اللغة الحديث ، رضوان منيسي ، دار النشر للجامعات ٢٠٠٧ .
٢٧. الفهرست ، ابن النديم ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة بيروت٢٠٠٢ .
٢٨. في أصوات العربية ، مجدي إبراهيم محمد ، تصدير طاهر سليمان حمودة ، مكتبة النهضة القاهرة ،٢٠٠١ .
٢٩. الكتاب ، سيبويه ، تعليق إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط٢٠٠٩ .
٣٠. لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق أحمد حيدر ، الجزء الأول .

٣١. اللمع في العربية ، ابن جني ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، دار الأمل للنشر ١٩٩٠ .
٣٢. اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية .
٣٣. لهجات القبائل العربية في القرآن الكريم ، راضي نواصرة ، مؤسسة حمادة للنشر .
٣٤. المزهر في علوم العربية ، السيوطي ، دار الفكر للطباعة ، الجزء الأول .
٣٥. المصباح المنير ، الفيومي ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس .
٣٦. معجم العين ، الخليل بن أحمد ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٣
٣٧. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٢
٣٨. المعرب من الكلام الأعجمي ، الجواليقي ، تحقيق محمد شاكر ، دار الكتب المصرية القاهرة ٢٠٠١ .
٣٩. مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، الجزء الخامس .
٤٠. نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ابن الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دارالفكر العربي القاهرة .
٤١. النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تحقيق علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية الجزء الأول .
٤٢. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، القلقشندي ، دار الكتب العلمية بيروت .
٤٣. همع ا لهوامع في شرح جمع الجوامع السيوطي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دارالكتب العملية بيروت ط١ الجزء الثالث ١٩٩٨ .

٤٤. وفيات الأعيان ، وإنباء رواة الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الفكر العربي بيروت ، ط٢

فهرس الآيات القرآنية

الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
(إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً(٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا	الواقعة	٧
(لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى)	مريم	١٩
(حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ)	الرحمن	٢٣
(. . . وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً . . .)	الأعراف	٢٢
(**وَمَاكَانَ** صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)	الأنفال	٢٢
(إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ)	الزخرف	٣٣
(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيْه)(٢٩)	الأنفال	٣٣
(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى	القيامة	٤٥
(. . . فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ . . .)	البقرة	٥١
(فَكُبْكِبُوا فِيهَا)	الشعراء	٥٢
(فهل عسيتم إن توليتهم أن تفسدوا في الأرض)	محمد	٦٨
(. . . وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ . . .)	لقمان	٤٠

(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ)	الحاقة	٤٠

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
(إن الجنة لا يدخلها عجوز) .	٧
(استقبل الناس في المدينة النبي صلى الله عليه وسلم على الأناجير) .	٤٥
(أقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ،وإياكم لحون أهل الفسق وأهل الكتابين)	٥٧

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	القافية	رقم الصفحة
وقفتُ فيها أصيلالاً أُسائلها ** أَعْيت جواباً وما بالربعِ مِنْ أَحدِ	الدال	١٦
َضِي الليل بالأَيام حتى صلاتنا ** مقاسمةٌ يشتقُ أنصَافَ َها السفُر	الراء	٢٩
فهَيتَ َذُوخ فيها الإِصْبَع	العين	٣٠
فليست بِطلقٍ و لا سَلكِره	الراء	٣١
تقضَّي البازي إذا البازي كسر	الراء	٣٢

أنَّ أصوات القَطَا المُنقَضَّ باللَّبِلِ أصواتِ الحَصَا المُنْقَرَّ	الزال	٣٣
*ن لنا وَهْو فلُوٌّ نربـ ُبـ ُه *		٤٨
باتت تكركره الجنوب	الباء	٥٢
يَحْمِلْن أُترجَّة نضحُ العبير بها كأن تطيابها في الأنف مشموم	الميم	٥٢
أّنى ومِنْ أُين آتكَ الطربُ*من حيث لا صبوة ولا ريبُ	الباء	٦٨
أكثرتُ في العذْل مُلحًا دائماً * لا تُكثرن إني عَصِيْتُ صائماً	الميم	٦٩

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
البسملة	أ
الاستهلال	ب
إلاهداء	ج
الشكر والعرفان	د
المستخلص	هـ
Abstract	و
المقدمة	١-٤
الفصل الأول : التعريف بابن قتيبة وظاهرة الإبدال	٦-٣٣
المبحث الأول :التعريف بابن قتيبة	٦-١١
المبحث الثاني :ظاهرة الإبدال	١٢-٢٠
المبحث الثالث :الإبدال في أدب الكاتب	٢١-٣٣
الفصل الثاني :ظاهرة الإدغام،والمخالفة الصوتية	٣٤-

المبحث الأول :ظاهرة الإدغام	٣٤-٤٢
المبحث الثاني: ظاهرة المخالفة الصوتية	٤٣-٤٧
المبحث الثالث :الإدغام والمخالفة في أدب الكاتب	٤٨-٥٢
الفصل الثالث : ظاهرة الفتح و الإمالة،والهمز	٥٣-٦٠
المبحث الأول :الفتح والإمالة	٥٣-٦٠
المبحث الثاني : ظاهرة الهمز	٦١-٦٥
المبحث الثالث :ظاهرة الإمالة ،والهمز في أدب الكاتب	٦٦-٧٢
الخاتمة	٧٣
النتائج	٧٤-٧٥
التوصيات	٧٥
المصادر والمراجع	٧٦-٧٩
فهرس الآيات	٨٠
فهرس الأحاديث	٨١
فهرس الأبيات الشعرية	٨١
فهرس الموضوعات	٨٢-٨٣